أسلمة الكُرد بحد السيف

أسلمة الكُرد بحد السيف

دانا جلال

طُبع في بيروت، 2017

First Edition: Beirut, 2017

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من أصحاب الحقوق

All rights reserved, is not entitled to any person or institution or entity reissue of this book, or part thereof, or transmitted in any form or mode of modes of transmission of information, whether electronic or mechanical, including photocopying, recording, or storage and retrieval, without written permission from the rights holders

تنويه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 1 - 77322 - 147 - 2

أسلمة الكُرد بحد السيف

دانا جلال

المقدمة

يعتقدُ الكُرد وهم على حق بأنهم ضحايا الجغرافية. جغرافية التجزئة وأجزاء مُلحقة بأربع دول تَختلفُ في كل شيء عدا الاتفاق على افتراس جسد الضحية المُتمثلة بالشعب الكردي.

«نحنُ ضحية الجغرافية»، هكذا تكلم الكردي، دون أن يدرك كونه قبل ذلك ضحية تاريخ لم يؤرخه؛ لاختياره الهامش الذي فسر نص الحدث.

تعرض الكرد قبل تجزئة وطنهم الى عملية إلحاق وترحيل لهويتهم القومية، لمفردات تاريخهم الذي كتبه المُنتصر بالإنابةِ. وقد اختاروا بعد أسلمتهم بحد السيف رتبة «المقاتل» في جيوش الإمبراطوريّات الغازية، التي رسمت الجغرافية السياسية وجعلت من الكردي ضحية سياسة الجغرافية.

إن إشكالية الضحية في الجغرافية السياسية لا يمكن حلها دون إعادة جغرافية التاريخ الكردي الى فضاء تاريخه الجغرافي، لأن التاريخ الكردي قد تم ترحيله قسراً الى سِفر تاريخ شعوب مجاورة ومتداخلة، وبالأخص الفارسي، ناهيكم عن تفريس وتعريب وتتريك الكثير من رجالات الكرد ممن لعبوا دورهم في مجالهم الحضاري في سياق تاريخ متنازع عليه.

المأساة الكردية متعددة الجوانب، والواحدة منها تلد الأخرى. أن يعتقد الغالبية المطلقة من الكرد بانهم دخلوا الدين الاسلامي رغبةً وطوعاً يحتاج الى البحث المعمق في تاريخ الفتوحات الاسلامية، وذلك للكشف

عن العقد المزور الذي يحتاج الى فك اشتباكه الداخلي على صعيد الذات الكردية قبل فكها مع الآخر.

إن الكردي لا يكتفي بتقديس قتلة أجداده من الذين رفعوا رايات «لا اله الا الله محمد رسول الله» بل يختلق من الوهم شخوصاً ومزارات يقدم لهم النذور ويتبرك صاغراً بقاتل ومحتل، بل ويتمادى برجم أجداده المقاومين لجحافل الجيوش الاسلامية في ظاهرة سمّيناها بـ«متلازمة كردستان»، حيث يقوم الضحية برجم ولعنة الابطال والمقاومين الكرد خلال فترة الغزوات الاسلامية لكردستان.

يمكن اعتبار الذات الكردية وهو يعيش «متلازمة ستوكهولم» و«متلازمة كردستان» الضحية الأكبر في تاريخ العلاقة بين الإسلام والشعوب غير العربية التي دخلت الدين الإسلامي. رغم كل ما قدمه الشعب الكردي للإسلام فانه كان الخاسر الأكبر في تلك العلاقة، وما قصة أبو مسلم الخراساني الذي قاد حرب العباسيين ضد الأمويين وقضى على تلك الخلافة إلا صورة نموذجيّة مصغرة، وقد قتله الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور

من واقع تلك العلاقة، فعن ونقلاً عن معارف الدينوري؛ نسبه أبو دلامة إلى الأكراد، حيث قال:

أبا مجرم ما غير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد

أفي دولة المهدي حاولت غدره ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد

أبا مجرم خوفتني القتل فانتحى عليك بما خوفتني الأسد الورد

وكان منشؤه عند إدريس بن عيسى جد أبي دلف النازل في حد أصبهان. وقتله أبو جعفر برومية المدائن سنة سبع وثلاثين ومائة.[1]

(1) المعارف ـ ابن قتيبة الدينوري ص97

النظرة الدونية تجاه الكُرد هي الغالبة في العقلية العروبسلامية لتصل الى درجة ربط قتال الكرد بقيام الساعة، فعن ابن منظر «في حديث أَبي هريرة، رضي الله عنه: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ وهم البازَرُ؛ قيل: بازَرُ ناحية قريبة من كِرْمانَ بها جبال، وفي بعض الروايات هم الأَكراد، فإِن كان من هذا فكأَنه أَراد أَهل البازر أَو يكون سُمُّوا باسم بلادهم، قال: هكذا أَخرجه أَبو موسى في حرف الباء والزاي من كتابه وشَرَحَه، قال: والذي رويناه في كتاب البخاري عن أَبي هريرة، رضي الله عنه: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: بين يدي الساعة تُقاتِلُون قوماً نعالهم الشعر وهو هذا البازر؛ وقال سفيانُ مَرَّةً: هم أَهلُ البارِز، يعني بأَهل البارز أَهل فارس).[1]

خلل العلاقة وعدائيته من قبل العروبسلامية والكرد يتحمله الجانب الكردي ايضاً الاختلاف والإحتراب هما السمة الغالبة في حياة هذا الشعب، فعن القلقشندي («ممن يكاتب بهذه المملكة الأكراد» وقد تقدم الكلام على طوائفهم ومنازلهم من بلاد الجبال من عراق العجم. قال في «التثقيف»: وهم خلائق لا يحصون، ولولا أن سيف الفتنة بينهم يستحصد قائمهم، وينبه نائمهم، لفاضوا على البلاد، واستضافوا إليهم الطارف والتلاد؛ ولكنهم رموا بشتات الرأي وتفرق الكلمة، لا يزال بينهم سيف مسلول، ودم مطلول، وعقد نظام محلول، وطرف باكية بالدماء مبلول).[2]

بغض النظر عن الخلفيات الاجتماعية والاختلاف الفكري والسلوكي لقادة الجيوش الاسلامية الذين احتلوا كردستان، وارتكبوا فيها المجازر والفظاعات، إن كانوا ضمن قادة اليسار الاسلامي المتمثل بشيعة علي،

(1) لسان العرب ـ ابن منظور ص373

(2) صبح الأعشى ـ القلقشندي ص1207

أو من قادة اليمين المُتمثل بالجناح الاموي، فان قيادة جيش كان هدفه التراكم الديني شكلاً من أشكال التراكم الوسيط بين البدائي والرأسمالي يجعل هامش الموقف الانساني مهمشاً في جحافل الموت التي زحفت من الصحراء تجاه بلاد الكرد.

قد يتحجج البعض بان بعض الاحاديث الواردة في الكتاب هي أحاديث ضعيفة أو شاذة أو منكرة. ضعيف الحديث يتم تضخيمه والايمان به كمسلمات لا يمكن مناقشتها إن كان يتلاءم مع المصالح الطبقية ومصالح الافراد والجماعات، وتأكيداً على ذلك هو ما يستند عليه التنظيم الارهابي دولة العراق والشام الاسلامية (داعش) من آيات وأحاديث وسير.

في عصر الثورة العلمية والتكنولوجية وفي مجال الاتصالات تمكن «داعش» بتوظيف النص والسيرة النبوية لارتكاب أبشع الجرائم، فكيف الحال مع دواعش الأمس؟ هذا ما حاولنا الإجابة عليه من خلال المصادر الإسلامية قبل غيرها من المصادر.

(البدوي ـ الرب) أحدهم يرسم الآخر، تتغير ملامح الصورة وفق الزمان والمكان. تغير صورة البدوي ونظرته للأشياء بعد اصطدامه بحضارات غنية في نتاجها الفكري وامكانياتها المادية، تناول البدوي سيفه ووظف النص وفق مصالحه لإعادة رسم صورة ربه ليتوافق مع غرائزه وحملات نهبه.

معادلة (البدوي ـ الرب) بحاجة الى وسيط،، لعبَ الرسول دور الوسيط، كان يدرك وبوعي كامل الى أين يتجه، وكيف يتحكم باتباعه، وأتباع أتباعه الذين مازالوا يرسمون صورته بإشكال مختلفة ناتجة عن تفسيرات مختلفة للنص الديني واشكالياته التي ما زالت قائمة بما في

ذلك حديثه لاتباعه بفتح كردستان، (عن النَّبِيَّ، صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: «رُفِعَتْ لَيْلَةَ أَسْرِيَ بي مدينةٌ، فأَعْجَبَتْنِي، فقلتُ لجِبْرِيلَ: ما هذهِ المَدِينَةُ؟ فقال: نَصِيبِين. فقلتُ: اللّهم، عَجِّلْ فَتْحَها، واجْعَلْ فيها بَرَكةً للمسلمينَ»). كان ذلك اثناء اسرائه صوب ربه، وتحقق بإسراء سيف البداوة في زمن الخليفة عمر بن خطاب في معراج الجبل الكردي... هو في الطريق.

صورة الجهادي من المدينة الى دولة الخليفة

ماذا لو سَبقَ قِراءة القرآن في مَسامعِ الشعوب التي أُريد لها أنْ تدخل الإسلام قبل أنْ يضع المُجاهدون (الغزاة) لغة السيف المقدسة عِندَ العرب، ولها من المُسميات ثلاثمائة ونيّف على جدول الأعمال الذي قَسمَ العالم الى دار الحرب (الكفار) وكما وصف في القرآن بدار الفاسقين (الأعراف 145) ودار السلام (الاسلام)؟

سؤال لَم يُطرَحْ في حينه؛ لأن الهدف المُتَّفق عليه بينَ قادة وجنود الغزوات، هو تَجريد الغازي من مُحَدِدات نَصه السماوي وقِيَمِه، وعلى وجه الخصوص الآيات المَكية السمحاء.

لمُقدمة المَنَع نتائجها المنطقية لــ«لا منطق» الجرائم التي كُتِبَت لاحقاً بحَّدِ السيوف المُشرعةِ والمَدعومة بالمشروعِ الديني لثقافة الصحراء، بعد أن سَمحَ لهم الرسول بحمل السيوف والرماح، ومَنَعهم مِنْ حَملِ الكِتاب، كي لا يَقع الغازي في لحظةِ ضُعف إنسانية بعد قراءته للنص وفخ الآيات المكية. عن عبد الله بن عمر (رض): أن رسول الله (ص) نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو.[1]

(1) رواه البخاري، ومسلم (1869). صحيح البخاري ـ (56) كتاب الجهاد والسير ـ باب (129) باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو ـ حديث رقم 2990 وفى لفظ ابن حبان عن ابن عمر قال: «نهى رسول الله (ص) أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو. رواه الإمام مالك في الموطأ، والإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه. (صحيح ابن حبان ـ (21) كتاب السير باب (13) ـ حديث رقم 4715/1

في ظل ظروف موضوعية تَمَثلَ بفضاء الفُقر المُطلق الذي كان سائداً في الصحراء العربية فان صورة (المجاهد ـ الغازي) التي رسمت بِنَّص وحديث نبوي، لَنْ تخرج عن إطار المُقاتل الجائع والتائه في الصحراء، ورحلة بحثه ببوصلة سيفه عن المُفتَّقدِ في بيئته الطبيعية، والموعود به في فردوس سماوي بملامسة حافاته بعد عمليات نهب وسبي للشعوب والحضارات المجاورة. عن عائشة «من حدثكم أنَّا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم، فلما افتتح (ص) قريظة (يهود) أصبنا شيئاً من التمر والودك»[1]

التراكم الديني شكلاً من أشكال «التراكم الوسيط» بين البدائي والرأسمالي منه، تم تبريره حَديثاً ومِن ثُم وضع ضمن النشاط الانتاجي بَعدَ جَعل أدوات الحرب وسائل انتاج لا تنتج غير الجريمة، فعن ابن عمر عن النبي قال: «جُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذِّلَّة والصغار على من خالف أمري»[2]

التراكم الديني لا يقلُ بشاعةً عَنْ البدائي، وما أنتجه مِن مقاتلين، لأكثر إجراماً حتى مِنَّ الذين مارسوا عمليات النهب البدائية، لأن الثانية لَمْ تُبرر بالنَّصِ المُقدس، فَعنْ أنس بن مالك (كان الرسول يرغّب الغازى ويقول: «من قتل كافراً فله سلبه»).[3]

(1) رواه ابن حبان. (صحيح ابن حبان ـ (7) كتاب: الرقائق ـ باب (5) ـ حديث رقم 684/1 وعن أبي أوفى (رض): «غزونا مع النبي (ص) سبع غزوات أو ستا كنا نأكل معه الجراد» رواه البخاري، ومسلم (1952).

(2) رواه البخاري ومسلم (843). صحيح البخاري ـ (56) كتاب الجهاد والسير ـ (88): باب ما قيل في الرماح ـ ص 367

(3) رواه الإمام أحمد، وأبو داود عن أنس بن مالك (رض)، ورواه الإمام أحمد أيضاً، وابن ماجه عن سمرة (رض)، ورواه أبو داود أيضاً، والترمذي، والبيهقي عن أبي قتادة (رض). جمع الجوامع الكبير للسيوطي ـ ج7 ـ حديث رقم 21005 ـ ص 64

لَم يَتحرر التراكم الديني مِن جذوره القبلية على خلاف ما يشاع من إن الإسلام تمكن من تفكيك القبلية بسلطتها ومفاهيمها وعلاقاتها، فالمؤلفة قلوبهم وكان لهم حصة في توزيع الغنائم ينسفُ مفهوم الأمة الاسلامية، ناهيك عن تناقضات بعض النصوص مع علميات النهب التي بُررت كما الحال مع فرض الجزية على أهل الكتاب بحسب (البقرة:62)، و(المائدة:69)، وأخذ الرسول الجزية مِن المجوس مُخالفاً بذلك نصوص القرآن.

بغض النظر عن الحديث وصحته فان (المجاهد ـ الغازي) الذي لم يؤمن بثقافة التعايش مع «الآخر» قد أكد ومن خلال الترجمة بحد السيف على أرض الواقع بان ما يُشاع عَنْ الضعيف من الحديثِ هي الحقيقة وسيدة المواقف في التاريخ الاسلامي وحاضره، فعن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب قال: «قال رسول الله: لئن عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أترك فيها إلا مسلماً»[1]

لا يحتاج أن نسأل عن إحصائية المتواجدين من اليهود والنصارى في جزيرة العرب التي كانت جزيرة رعب «للآخر» حينما أُشهر بحقهم السيف المقدس.

صورة (المجاهد ـ الغازي) لا تنحصر بالدموية والغائه للآخر، بل هي صورة لانتهازي ومخادع لوجود رخصة قرآنية بالكذب والنفاق وفي أكثر من سورة ومنها: ﴿مَنْ كَفَرَ باللهِ مِنْ بَعْدِ إيمانِهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلبُهُ مُطْمَئِنٌ بالإيمانِ﴾ (سورة النحل 106) والتي نزلت في عمار بن ياسر حين أعطى الكافرين ما أرادوا بلسانه مكرهاً.

(1) أحمد 21 ـ أحمد 210 ـ الترمذي 1531

إن ما حققه داعش مِن تَمدد باعتماده على سياسية الرُعب ليست بمنقطعة عَن تاريخ الرُعب الديني، ففي حديث عن النبي كما في صحيح البخاري وغيره أنه قال: «نُصرت بالرعب شهراً، يُرعب مني العدو مسيرة شهر».

سيكولوجيا الرُعب الذي لجأ اليه داعش نجده بتفاصيل مفرداته من خلال محاولة ايجاد صلة ما بين البغدادي والرسول وفق منطق داعش، لا على صعيد النسل فقط، بل وعلى صعيد وراثته للسيرة كما أُعلن من خلال أحد مواقع داعش (الآثار الواردة الدالة على ولاية ابي بكر البغدادي الحسيني الهاشمي والتي تدل على انه يفرج الله به الفتن عن الأمة ويسومهم بالخسف أي بالمتفجرات والعمليات الاستشهادية. ويضع السيف على عاتقه وهذا كناية عن كثرة القتل والذبح بالسلاح الابيض كما يفعله اليوم من الذبح بالسكاكين. حتى أن الناس يستنكرون فعله ويطعنون في قربه من آل البيت من فاطمة الزهراء لقلة رحمته وكثرت سفكه لدْماء.[1]

صورة الجهادي الاسلامي الذي انطلق من الجزيرة العربية، ورُسمت بدماء الضحايا، انتقلت الى الشعوب المجاورة كعامل ترهيب وإدارة توحش ومن ثم الإعلان عن الخلافة وحروبها من أجل عمليات نهب شاملة باسم الفتح الاسلامي.

تتكرر الصورة مع التنظيم الإرهابي (داعش) في عملية إعادة إنتاج التاريخ، وبشكل أكثر دموية نتيجة لتطور وسائل وأدوات القتل.

إن الصورة الحالية لوجوه القتلة، وأساليب جرائمهم، بتفاصيل أحداثها، تُمثل عينة الحاضر لمعرفة ما جرى من جرائم في التاريخ الإسلامي،

(1) (المنبر الاعلامي الجهادي)

وعلى وجه الخصوص فترة الفتوحات الإسلامية، لأن المروي وإن كان ضعيفاً من وجهة نظر بعض المعاصرين من الإسلاميين، فان مُضَعَفهم راهناً كانت القاعدة في التعامل مع الشعوب غير العربية واهل الديانات الأخرى.

يحدد التنظيم الإرهابي (داعش) مراحل إنشاء دولة خلافته في إنجيله المُقدس (إدارة التوحش ـ أخطر مرحلة ستمر بها الامة ـ تأليف أبو بكر الناجي) وهي لا تختلف في جوهرها عن تاريخ الفتوحات الإسلامية وإنشاء الإمبراطوريات الإسلامية وهي:

1. شوكة النكاية والانهاك
2. ادارة التوحش
3. شوكة التمكين (قيام الدولة)

كتب الموقع الرسمي لداعش في تبرير لجرائمه «لِمَ هذهِ الضَجةِ مِنْ قبل بعض الإسلاميين حولَ ما نرتكبه مِنْ موروث نجدده في عملياتِ النَّحرِ، والجَّز، والسبي، والاغتصاب. نحنُ لَمْ نأتِ بِبُدعةٍ ولسنا بأهلِ ضلالة» هكذا يتحدث (داعش) في وسائل اعلامه، مؤكدا بأنه أحيا النَّص والسنن ومنها النَحر ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حتى ـ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ ـ ; ـ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ سورة 47 ـ محمد [1]

يستند داعش إلى عدد هائل من تفسيرات مُختلفة للنص ومرويات الأحداث ومخارج الحديث، ليبرر جرائمه. في تَفسير السَعدي للسورة

(1) وحفرت الخنادق في سوق المدينة للتخلص من جثث رجال بنى قريظة وكان عددهم نحو تسعمائة الذين قام محمد بذبحهم في تلك الليلة (انظر: ابن هشام؛ السيرة النبوية، الجزء الثاني، صفحــة 40 و41).

47 ـ محمد. إنها نزلت عِتاباً لِمحمد (هذه الآية معاتبة من الله لرسوله والمؤمنين يوم بدر إذ أسروا المشركين وأبقوهم لأجل الفداء، فلا ينبغي ولا يليق به صلى الله عليه وسلم).

وعَن أحمد في مُسندهِ «يا معشر قريش! أما والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح، ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ فقال له أبو جهل: يا محمد! ما كنت جهولا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت منهم».[1]

ان جز الرؤوس والتمثيل بها ليست بُدعة داعشية، ففي معركة بدر «مر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فوجد أبو جهل في آخر رمق، فاحتز رأسه، وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال: هذا فرعون هذه الأمة».[2] وقال ابن كثير في البداية والنهاية: «عن أبي بردة بن نيار قال: جئت يوم بدر بثلاثة أرؤس، فوضعتهن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: أما رأسان فقتلتهما، وأما الثالث فإني رأيت رجلا طويلا ضربه، فتدهدى أمامه، فأخذت رأسه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك فلان من الملائكة». [3]

إن الصور التي ظهرت في وسائل الإعلام ببيع الايزيديات والمزايدة

---

(1) الراوي: عمرو بن العاص ـ خلاصة الدرجة: حسن ـ المحدث: الألباني المصدر: صحيح الموارد الصفحة: 1403) (الراوي: عبد الله بن عمرو بن العاص خلاصة الدرجة: حسن ـ المحدث: الألباني ـ المصدر: صحيح الموارد الصفحة: 1404) (الراوي: عروة بن الزبير ـ خلاصة الدرجة: إسناده صحيح ـ المحدث: أحمد شاكر ـ المصدر: مسند أحمد ـ الصفحة: 11/203

(2) توضيح الاحكام ج 1 ـ 323 وقال الشوكاني: قوله «ويكره حمل الرؤوس»؛ أقول: إذا كان في حملها تقوية لقلوب المسلمين أو إضعاف لشوكة الكافرين فلا مانع من ذلك، بل هو فعل حسن وتدبير صحيح ولا وجه للتعليل بكونها نجسة، فإن ذلك ممكن بدون التلوث بها والمباشرة لها، ولا يتوقف جواز هذا على النبي صلى الله عليه وسلم فإن تقوية جيش الإسلام وترهيب جيش الكفار مقصد من مقاصد الشرع ومطلب من مطالبه لاشك في ذلك (السيل الجرار ج4 ـ 21.512)

(3) رواه البخاري، ومسلم (1438). صحيح البخاري ـ (34) كتاب البيوع ـ (109) باب بيع الرقيق ـ حديث رقم 2229

عليهن من قبل «داعش» لم تأتِ من ذاكرة تاريخ مثقوبة، فعن أبى سعيد الخدرى قال: بينما هو جالس عند النبي (ص) قال: يا رسول الله إنا نصيب سبياً فنحب الأثمان فكيف ترى في العزل؟ فقال: «أو إنكم تفعلون ذلك لا عليكم أن تفعلوا ذلكم، فإنها ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هي خارجة»[1]

إنَّ الجرائم الدينية وإن كانت ليست حِكراً على دين مُحدد، فإنها ومعَ مَنْ أحيا النَّص والسنن وفق تأويلات أحزاب ومنظمات إرهابية في القرن 21 تمثل الأكثر بشاعةً في التاريخ الانساني، لان القتلة من الخلف وورثة السلف لا يكتفون بفعلِ الجريمة، بلْ ويطالبون مِن ضحاياهم الشكر مستندين في ذلك إلى التاريخ الذي يؤمنون بحدوث وقوعه، فعلى سبيل المثال إن سبي النساء الكافرات من قبَل المسلمين وفق داعش قد يجر عليهن خيراً عظيماً، لأنها تدخل في دين الله تعالى فتصير مسلمةً، وهي بذلك تُنجي نفسها من الخلود في نار جهنم. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ».

يفسر ابن الجوزي الحديث: معناه أنهم أسروا وقيدوا، فلما عرفوا صحة الإسلام دخلوا طوعا فدخلوا الجنة، فكان الإكراه على الأسر والتقييد هو السبب الأول، وكأنه أطلق على الإكراه التسلسل، ولما كان هو السبب في دخول الجنة أقام المسبب مقام السبب.وقال الطيبي: ويحتمل أن يكون المراد بالسلسلة الجذب الذي يجذبه الحق من خلص عباده من الضلالة إلى الهدى ومن الهبوط في مهاوي الطبيعة إلى العروج للدرجات، لكن الحديث في تفسير آل عمران يدل على أنه على الحقيقة.

(1) رواه البخاري (2848)

ويفسره أبي الطفيل «رأيت ناسا من أمتي يساقون إلى الجنة في السلاسل كرها. قلت: يا رسول الله من هم؟ قال: قوم من العجم بسبيهم المهاجرون فيدخلونهم في الإسلام مكرهين». أما إبراهيم الحربي فمنع حمله على حقيقة التقييد وقال: المعنى يقادون إلى الإسلام مكرهين فيكون ذلك سبب دخولهم الجنة، وليس المراد أن ثم سلسلة.

وفق الخطاب الديني فان للمسبيات فضائل دنيوية كالمال والجاه والعلم، وعلى رأس الشرف الديني والدنيوي ما حصل لصفية بنت حيي بن أخطب، وجويرية بنت الحارث، وقد كان سبيهما سبباً في تزوج النبي بهما، حتى صارتا أمهات للمؤمنين جميعاً، فهما زوجتاه في الدنيا والآخرة، وأي شرف يمكن أن تحظى به مسبية مثل هذا، فلا ندري كيف لواحدٍ أن يُنكر تشريع السبي وفعل المسلمين بهنَّ.... هكذا تحدث داعش اليوم.

الخيمة التي نهبت الحضارات

بعدَ انتهاء عمليات النهب الداخلي شكلاً مِنْ أشكال التراكم البدائي، ونجاح قريش «القبيلة» بإنشاء «دولة المدينة» ومِنْ ثم دولة الخلافة الاسلامية؛ بدأت الفتوحات الإسلامية صوب جوارها وما جاورها.

الانتقال مِنْ حدود «القبيلة» الى «دولة المدينة» ومِنْ ثم «إمبراطورية الخلافة» انطلق مِنْ النجاح الذي حققه «محمد بن عبد الله» بمخاطبة قريش، ورسم حدود سُلطتِها، ومناطق توسعها، ومراحل تطورها من جهة، وإنشاء جيش مُدرب بعدَ عمليات القتل والنهب التي اقترنت بـ20 الى 29 غزوة و40 الى 70 سرية قادها الرسول.

خطاب غرائزي، وتوسعي في مجتمع بدوي، كان الأكثر مُلامسة للشخصية البدوية في ظروف طبيعية واقتصادية قاسية لا يُمكن تغييرها دون نهب وتوسع جغرافي، لِذا نرى إنَّ صاحب الرسالة وحاملها يُخاطب قبيلته ويرسم لهم حدود غدهم برؤية استراتيجية بالغة الدقة والذكاء. عن ابن عمر (رض) قال النبي (ص): «يا معشر قريش! اتبعوني تطأ العرب أعقابكم، بلى والله وفارس والروم».[1]

عمليات النهب المُشرعنة دينياً وفي بداية الرسالة، خلق الشخصية

(1) أنظر جمع الجوامع (الجامع الكبير) للسيوطي ـ ج9 ـ حديث رقم 28116 ـ ص 189 رواه الديلمى، والمتقي الهندي

المُتناقضة عند البدوي، تناقض بين ما هو ديني يفتح له مساحات جديدة للنهب، ودنيوي متحقق في بقعتهِ الجغرافية المُقفِرة.

إنَّ ترك البدوي لِصَلاته خلف رسوله، لا يُمكن تفسيره بضعفِ إيمانه، أو بالشخصية غير المُنضبطة للبدوي قدر تعلق الأمر بتنفيذه الحرفي لما وعِدَ به ضمن بُقعته الجغرافية، ولاحقاً بكنوز ونساء الحضارات المجاورة، فعن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلى مع النبي (ص) إذ أقبلت عيرٌ تحمل طعاماً فالتفتوا اليها حتى ما بقي مع النبي (ص) إلا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾[1]

إنَّ صورة الرب وحديثه المدني كانت بحاجة الى ترميمات، بل والى تغييرات جوهرية لِخلق مُنعكس شرطي يُحرك البدوي ويقوده.

تغيير حالة وواقع الفقر، وهي الحالة العامة في المجتمع البدوي، إضافة الى حل مُشكلة الكبت الجنسي في الصحراء فرض الخِطابْ الغرائزي الذكوري لِما دونَ الرقبة، ومِنْ ثم الابتعاد عَنْ الجوانب الروحية للرسالةِ المُحمدية، فعن عبد الله بن قُسيط قال: كان أهل الصفة ناساً من أصحاب رسول الله (ص)، لا منازل لهم، فكانوا ينامون على عهد رسول الله (ص)، في المسجد ويظلون فيه مالهم مأوى غيره، فكان رسول الله (ص) يدعوهم إليه بالليل إذا تعشى فيفرقهم على أصحابه وتتعشى طائفة منهم مع رسول الله (ص)، حتى جاء الله تعالى بالغنى.[2]

حينما تَتغير صورة الرب يَتغير معه البدوي، وحينما يَتغير البدوي

(1) رواه البخاري. (صحيح البخاري ـ (11) كتاب الجمعة ـ (38) باب: إذا نفر الناس عن الإمام ـ حديث رقم 936 ـ مكتبة الإيمان بالمنصورة ـ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد رواه أيضا الإمام أحمد (3/370). (صحيح البخاري ـ حديث رقم 936)

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد ـ فصل: ذكر الصفة ومن كان فيها من أصحاب النبي ـ ج1 ـ ص255

يُعيد رسم صورة ربه مِنْ جديد، هي عملية رسم مُتبادلة، كانَ الوسيط بينهما الرسول الذي كانَ يُدرك وبوعي كامل الى أينَ يَتجه، وكيفَ يَتَّحكمْ باتباعه وأتباع أتباعه. الرب الذي يُرافق البدوي في صولات نَهبِه، وجولات القتل والسبي، سيصبح أكثر قبولاً، لأن «الانا العليا» السماوي الذي يَلغي فيه «الأنا» ويطلق سراح «أناه الدنيا» بقوانينِ الدنيا يستحق، بل وواجب الخضوع له، ففي المغازي للواقدي (وندب رسول الله (ص) المسلمين، وقال: «وهذه عير قريش فيها أموالهم، لعل الله يغنمكموها» فأسرع من أسرع حتى إن كان الرجل ليساهم أباه في الخروج...).[1]

إنَّ مُحاكمة التاريخ ورجاله بمنطقِ الحاضر وقيمِه ومفاهيمه عملية فيها إجحاف كبير للتاريخ، ولكن القسوة والعُنف في المُجتَّمعات الصحراوية وفي العصور الإسلامية لهي أكثر وحشيةً مِن القسوةِ والعُنف في الحضاراتِ المُجاورة للجزيرة العربية.

يَصف مسلم والبخاري في صحيحهما تفاصيل مُروعة لِما جرى لبني المصطلق فعنهما (أخبرنا بن عون قال: كتب إلىّ نافع، فكتب إلىّ إن النبي (ص) أغار على بنى المصطلق وهم غارون، وأنعامهم تُسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جُويرية. حدث به عبد الله بن عمر، وكان فى ذلك الجيش).[2]

ثقافة النَهبْ بِغُض النَظر عَنْ مُبرراتها جعلَ مِن البدوي مُستمعاً ومطيعاً ومؤمناً بما ينتظره في الفردوس المُفترض، ولكنه يُنازع حتى رسوله حينَ التَّعلُق بما يَقعْ في اليد، فعن جبير بن مطعم قال (أنه

(1) المغازي ـ الواقدي ـ ص34

(2) رواه البخاري، ومسلم (1730). (صحيح البخاري ـ (49) كتاب العتق ـ باب (13) ـ حديث رقم 2541

بينما هو مع رسول الله (ص) ومعه الناس مقبلاً من حنين (غزوة حنين) علقت رسول الله (ص) الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمُرَة (شجر له شوك) فخطفت رداءه، فوقف رسول الله (ص) فقال، «أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جبانا).[1]

النِزاع والتَّنازع على الغنائم بين أتباع الرسالة يَكشف وبكل وضوح الهدف مِنْ الغزوات ولاحقاً الفتوحات، فعن ابن عباس أن رسول الله قال يوم بدر (من قتل قتيلا فله كذا وكذا» أما المشيخة (الشيوخ) فثبتوا تحت الرايات وأما الشباب فتسارعوا إلى القتل والغنائم فقالت المشيخة للشبان: أشركونا معكم فإنا كنا رداً لكم ولو كان فيكم شيء لجئتم إلينا فأبوا فاختصموا إلى رسول الله (ص) قال: فنزلت (يسألونك عن الأنفال) (الأنفال:1)، فقسمت الغنائم بينهم بالسوية).[2]

لِفَض الاشتباك والنزاع حولَ الغنائم كانَ لابُد مِنْ قواعد مُحددة للتقسيم، فعَنْ أبى هريرة قال النبي «أيما قرية أتيتموها وأقمتم فيها فسهمكم فيها، وأيما قرية عصت الله ورسوله فإن خمسها لله ولرسوله ثم هي لكم».[3]

قَدْ يُبرر عمليات النهب بالجانب الاقتصادي، ولكن سبي المرأة والتعامل معها كَجَسد وسلعة ومعَ مراعاة السياق التاريخي لا يُنفي الخطاب

(1) رواه الإمام أحمد (4/82) والبخاري (صحيح البخاري ـ (57) كتاب فرض الخمس ـ (19) باب ما كان النبي (ص) يعطى المؤلفة قلوبهم ـ حديث رقم 3148

(2) رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح. وقال الذهبي في التلخيص: صحيح. (المستدرك للحاكم ـ ج2 ـ حديث رقم 2876/5 ـ ص 241)

(3) رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والبغوى، والتبريزي. (جمع الجوامع الكبير للسيوطي ـ ج3 ـ حديث رقم 9409 ـ ص 363 ـ مصدر سابق) والحديث رواه ايضاً ابن حبان في صحيحه. (صحيح ابن حبان ـ (21) كتاب السير ـ حديث رقم 4826/1)

الغرائزي الذي خوطب به بدو الغزوات والفتوحات، فعن ابن عباس (أن النبى (ص) قال: اغزوا تغنموا بنات بنى الأصفر، فقال ناس من المنافقين: إنه ليفتنكم بالنساء، فأنزل الله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي﴾ (التوبة:49).[1]

وعن أبى سعيد الخدري قال: بينما هو جالس عند النبي قال: يا رسول الله إنا نصيب سبياً فنحب الأثمان فكيف ترى فى العزل؟ فقال: «أو إنكم تفعلون ذلك لا عليكم أن تفعلوا ذلكم، فإنها ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هى خارجة».[2]

كانت ثُنائية (الجَسد والثروة)، (الغَريزة والسُلطة) مُحركاً رئيسياً لِقادة وجنود الغزوات وتضاعفَ دوره في فَتح البُلدان الأكثر ثروةً وأنوثة إضافة الى تحقق الرؤية الاستراتيجية للرسول الذي غلفه بخطاب ديني. قال سعد بن مالك بعد غزوهم العراق وفارس «هي ميراثكم وموعدكم وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج».[3]

لَقد اعترف الصحابي المغيرة بن شعبة في حواره مع مُحاوِره الفارسي إنَّ سبب الغزوات هو أحوال العرب المُتَّردية، عَنْ جبير بن حية قال: بعث عمر الناس في أفناء الأمصار يقاتلون المشركين،... فندبنا عمر. واستعمل علينا النعمان بن مقرن. حتى اذا كنا بأرض العدو، وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً، فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم. فقال المغيرة (بن شعبة): سل عما شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أُناس من العرب كنا فى شقاء شديد. وبلاء شديد نمص الجلد والنوى من الجوع

(1) أسباب النزول ـ السيوطي ـ ص153
(2) رواه البخاري، ومسلم (1438). (صحيح البخاري ـ (34) كتاب البيوع ـ (109) باب بيع الرقيق)
(3) شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة ـ السفر الثالث (الصحابة والمجتمع) ـ ص278:276)

ونلبس الوبر والشعر... فأمرنا نبيناً رسول ربنا (ص) أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده. أو تؤدوا الجزية. وأخبرنا نبينا (ص) عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة فى نعيم لم يَرَ مثلها قط. ومن بقي منا ملك رقابكم.[1]

لَقدْ فَضلَ قادة الفتح الجزية على قتالِ الفُرس رغم إنهم لَمْ يكونوا أصحاب كتاب بجريرة السنة النبوية حيث شَهدَ عبد الرحمن بن عوف حينها (أن رسول الله (ص) أخذ الجزية من مجوس هَجَر).[2]

إنَّ التَّراكم الناتج عَنْ عمليات النَهبْ باسم الفتح بَلغتْ أرقاماً خيالية في ذلك العصر، لِذا كانت الفتوحات تَتَّقدمْ وتُحقق أهدافها الاقتصادية قبلَ الدينية، نَهبْ أدخلَ السرور في نفوسِ الخُلفاء وجُنده، (سُرّ عثمان من حصيلة الخراج والجزية التي استخلصها أخوه فى الرضاعة من مصر فأغزاه أفريقية ـ عسى أن يأتي منها هي الأخرى در وفير وعطاء جزيل ـ وفعلاً صح ما توقع ابن عفان (...وكثرت الغنائم وبلغت ألفى ألف وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف وفى رواية أخرى أنها كانت ثلاثمائة قنطار من الذهب الخالص، وبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف وكافأ ابن عفان أخاه فأعطاه خمس ما يستحقه بيت المال من الفئ الذى يبلغ بدوره الخمس أي أن عبد الله بن سعد ابن أبى سرح تحصل بمفرده على اثنى عشر قنطاراً من الذهب الخالص الإبريز).[3]

(1) رواه البخاري، والترمذي (1613) ،(1612)، وأبو داود (2655). (صحيح البخاري ـ (58) كتاب الجزية والموادعة ـ باب (1) ـ حديث رقم 3159)

(2) صحيح البخاري ـ (58) كتاب الجزية والموادعة ـ باب (1) ـ حديث رقم 3157 والترمذي (1586،1587)، وأبو داد (3043)

(3) شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة ـ السفر الثاني ـ ص 259 ،206

فوضى سيوف الخِلافة

تَقسيم العالم الى داريــن (دار الإسـلام ودار الكفـر) والذي وردت المُصطلحات الخاصةِ بهما في الكتاب والسِنة بألفاظ مُختلفة مثل (دار الفاسقين ـ أرض العدو ـ دار الهجرة والسنة ـ دار شرك ـ دارة الكفر ـ بلدة الكفر) نِتاج الفكر التكفيري وما يُخلفه مِنْ جرائم استند إليه الدين الإسلامي ووفق قراءات معينة.

للدارين تعاريف مُختَّلفة في مُفرداتها وصياغاتها ومُتَّفق عليها في جوهرها. يعرفهما ابن القيم (دار الإسـلام هي التي نزلها المسلمــون وجــرت عليـها أحكــام الإسلام، وما لم تجرِ عليه أحكام الإسلام لم يكن دار إسلام)[1]، ويُعرفه أبو حنيفة بعدَ وضع شروطِه (لا تصير دار حرب حتى تجمع فيها ثلاثة أشياء ; أن تكون متاخمة لدار الحرب، لا شيء بينهما من دار الإسلام. الثاني: ألا يبقى فيها مسلم ولا ذمي آمن. الثالث: أن تجري فيها أحكامهم. ولنا، أنها دار كفار، فيها أحكامهم، فكانت دار حرب ـ كما لو اجتمع فيها هذه الخصال ـ أو دار الكفرة الأصليين.[2] وقال السرخسي في شرحه لكتاب (السير الكبير) (والدار تصير دار المسلمين بإجراء أحكام الإسلام).[3] وللقاضي أبي يعلى الحنبلي تعريفه (كل دار كانـت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام فهي دار الكفر). [4]

(1) أحكام أهل الذمة لابن القيم، 366 /1
(2) المغني مع الشرح الكبير 95 /10
(3) السير الكبير 2197 /5
(4) المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى ص 276

و عَنْ أبي يوسف ومحمد (إذا أظهروا أحكام الشرك فيها فقد صارت دارهم دار حرب، لأن البقعة إنما تنسب إلينا أو إليهم باعتبار القوة والغلبة. فكل موضع ظهر فيه حكم الشرك فالقوة في ذلك الموضع للمشركين فكانت دار حرب، وكل موضع كان الظاهر فيه حكم الإسلام فالقوة فيه للمسلمين).[1] وقال ابن تيمية «ويجب أن يكون معلوماً أن هذا التقسيم مجمع عليه بين علماء الأمة من السلف والخلف. وأن الإجماع لابد أن يستند إلى دليل من الكتاب أو السنة». [2]

التَّقسيم وعلى خِلاف ما يدعي البعض بانه موضوع فهو موجود بالأدلة من القرآن والحديث، فمن القرآن ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا﴾.[3]، و﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾.[4]، وقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن، الله أعلم بإيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾.[5] وقوله ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾.[6]، وقوله ﴿سأوريكم دار الفاسقين﴾.[7]

حينما يَتمْ تَحديد البِلاد بانها دار كفر، فان الحديث عَنْ أسلَمتِها بالحوار الحضاري، ومِنْ ثم دخولها الاسلام سلماً ليستْ الا أكذوبة، فَعمليات النَّحر والحَرق وجَز الرؤوس والسَبي والنَهب باسم الجزية كانَ القاسم

(1) المبسوط للسرخسي، جـ 10 ص 114
(2) مجموع الفتاوى 39 /7
(3) إبراهيم 13
(4) الأعراف 88
(5) الممتحنة 10
(6) الأنفال 72
(7) الأعراف 145

المُشترك في تاريخ الشعوب التي تَعرضتْ لِلغزوات الاسلامية، أما الحالات الاستثنائية فهي تَندرج في خانةِ القبول بِغرضْ استخدام الدين كوسيلة للنَهبِ والسَبي كما هي عليه الحالة اليمنية، أو كانَ خوفاً مِنْ التَّعرض الى عملياتٍ مُنظمة ومَنهجية لِلقتل الذي يُمكن وصفه بحربِ الإبادة وفقَ مفاهيم عصرنا.

بعدَ تَحديدْ جُغرافية الكفر، فانَّ قاعدة «فوضى السيف»، لِخُلفاء وجنود وأحزاب الله فرضَ نفسه، ولا يُمكن مُناقشتها لأن عمليات القَتل والتَّفنن فيه، ووسائل إذلال الشعوب المَقهورةِ لَمْ تأتِ مِنْ فراغ، فالمُقاتل الغازي استندَ إلى قِراءات نصوص قرآنية وسيرة نبوية.

عمليات ضَرب الأعناق على يَد الجيش الإسلامي كانتْ القاعدة في ديارِ الكُف ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق﴾.[1]

قالَ القرطبي: «لم يقل فاقتلوهم لأن في العبارة بضرب الرقاب من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل، لما فيه من تصوير القتل بأبشع صوره، وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه».[2]

وقالَ ابن كثير: فضرب الرقاب، وقال أبو بكر الجزائري «أي فاضربوا رقابهم ضربا شديدا تفصلون فيه الرقاب عن الأبدان».[3]، وقال الكاساني: «﴿فأضربوا فوق الأعناق﴾ وهذا بعد الأخذ والأسر لأن الضرب فوق الأعناق هو الإبانة من الفصل ولا يقدر على ذلك حال القتال ويقدر عليه بعد الأخذ والأسر».[4]

(1) سورة محمد:4
(2) تفسير القرطبي
(3) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير
(4) بدائع الصنائع ج119/ 7

الآية صريحة الدلالة في جوازِ نَحر الكفار قبلَ أو بعدَ أسرهم، وهذا ما فهمه العُلماء مِنْ هذه الآية. قال تعالى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾.[1] نزلت هذه الآية مُعاتبة مِنْ الله لِرسوله والمؤمنين يوم بدر إذ أسروا المُشركين وأبقوهم لأجل الفِداء بدلاً مِنْ قَتلِهِمْ.

المُقاتل الغازي في ديارِ الكُفر لَمْ يُمارس سوى القَتل والسَبي، قال تعالى: ﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصين﴾.[2]

وقال ابن كثير في قوله تعالى ﴿أو بأيدينا﴾: (أي القتل أو السبي)، وكذا قال الطبري، فنحن ننتظر بهؤلاء الكفار أن يعذبهم الله بأيدينا قبل عذاب الآخرة والنحر يدخل في ذلك.

إنَّ النَحر صورة مِنْ صور القَتل ثَبتَ الحثُ عليه في الكتابِ والسِنة وآيات النَّحر واضحة جلية في القرآن وأفعال محمد، فالتَّمثيل بجثثِ الأعداء جائز بِشرط المُعاملة بالمثلِ كما يُحدد بعضُ الفُقهاء، والدليل على ذلك وعَنْ ابن كعب رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً ومن المهاجرين ستة منهم حمزة بن عبد المطلب فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربين عليهم في التمثيل. فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾،[3] فقال رجل: لا قريش بعد اليوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (كفوا عن القوم إلا أربعة).[4]

---

(1) الأنفال:67

(2) سورة التوبة:52

(3) النحل:126

(4) اخرجه النسائي وابن حبان والطبراني والحاكم وصححه البيهقي

المُعاملة بالمِثلْ ورغم بشاعة صورها كانتْ مُبررة مِنْ قبل المُقاتل الغازي. قال بن القيم «وقد أباح الله تعالى للمسلمين أن يمثلوا بالكفار إذا مثلوا بهم فجدع الأنف وقطع الاذن وبقر البطن ونحو ذلك هي عقوبة بالمثل ليست بعدوان والمثل هو العدل».[1]وعن أبي يعلى شداد بن أوس عن الرسول الله قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[2]

الغلظة والشِدة كان جزء مِنْ سلوك الجيوش الإسلامية بالتَّعامل مع المُوصفين بالكُفرِ في ديارِ الكُفر ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾.[3] وجاء في الصحيحين إن الرسول قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الله وأن محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» [4]

وروى ابن الأثير وابن إسحاق وغيرهم مِنْ أصحاب السِيَّر عَنْ عمرو بن العاص قال: حضرت قريش يوماً بالحجر فذكروا النبي صلى الله عليه وسلم وما نال منهم وصبرهم عليه فبينما هم كذلك إذ طلع النبي صلى الله عليه وسلم ومشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه مثلها ثم الثالثة فقال لهم: «أتسمعون يا معشر قريش، والذي نفس محمد بيده جئتكم بالذبح».[5]

---

(1) عون المعبود مع حاشية ابن القيم على سنن أبي داود «(278 / 12)

(2) رواه مسلم. شرح رياض الصالحين المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين

(3) التوبة: 73

(4) رواه البخاري ومسلم. جامع العلوم والحكم ـ ابن رجب الحنبلي

(5) رواه أحمد في «المسند «(11/609) طبعة مؤسسة الرسالة من رواية الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وحسنه المحققون، والشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند أيضا،

أما إقرار الرسول بِجَّزِ الرؤوس، فقد روى الطبراني بإسناد رجال ثقات عَنْ فيروز الديملى قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم برأس الأسود العنسي».[1]

أما البيهقي فقد روى، إنه وفي سرية أبي حدرد قد أتوا برأس رفاعة بن قيس، ولم ينهه الرسول عن ذلك.

وروي عَن البراء قال: لقيت خالي معه الراية، فقلت: أين تذهب؟ فقال: «أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن آتيه برأسه».[2]

وفي الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم وعن عبد الله الديلمي عَنْ أبيه قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم برأس الأسود العنسي الكذاب، فقلت: يا رسول الله قد عرفت من نحن فإلى من نصير؟ قال: (إلى الله عز وجل وإلى رسوله)، وكان أتيناه به من اليمن ليقف صلى الله عليه وسلم على نصر الله وعلى كفايته المسلمين شأنه.[3] وفي معركة بدر (مر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فوجد أبو جهل في آخر رمق، فاحتز رأسه، وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال: «هذا فرعون هذه الأمة» وقضى بسيفه لابن مسعود رضى الله عنه).[4]

عمليات قَطع الرؤوس ونَقلِها كانت سائدة مع الاختلافِ في التفاصيل، ففي المغني روي عن الإمام ابن قدامة: «ويكره نقل رؤوس

وحسنه الهيثمي في «مجمع الزوائد «(6/19)، وكذا الشيخ الألباني في «صحيح الموارد «(1403).
وجاء في رواية الإمام البخاري (3678) لأصل القصة أن عروة بن الزبير رحمه الله قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(1) السنن الكبرى للنسائي (كِتَابُ السِّيَرِ) حَمْلُ الرؤوس ـ رقم الحديث: 8351
(2) مشكل الآثار للطحاوي بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ... رقم الحديث: 2497
(3) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ذِكْرُ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهَةَ رَضِيَ اللَّهُ رقم الحديث: 2385
(4) توضيح الاحكام ج1/383

المشركين من بلد إلى بلد، والتمثيل بقتلاهم، وتعذيبهم... وإن فعلوا ذلك لمصلحة جاز».[1]

يظهر إنَّ الاكتفاء بِنقلِ خَبر قطعِ الرؤوس قد بدأه الخليفة الأول، ففي السير الكبير وشرحه وفي سنن سعيد بن منصور (عَنْ سعيد بْنِ يَزِيَ، عَنْ يَزِيد بْنِ أَبِي حَبِيب، عَنْ عَلي بن رَبَاحٍ، عَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ، أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرَأْسِ يَنَّاقِ الْبِطْرِيقِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ! فَإِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِنَا، قَالَ: «فَاسْتِنَانٌ بِفَارِسَ وَالرُّومِ؟ لا تُحْمَل إِلَيَّ رَأْسٌ، فَإِنَّمَا يَكْفِي الْكِتَابُ وَالْخَبَرُ).[2]

إنَّ إلقاء الرُعب في قلوبِ الأعداء في ديارِ الكُفر كان مَطلباً شرعياً ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة إني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾.[3] و﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله﴾. [4]

وفقَ الحَديثْ وبِغُض النظر عَنْ ضُعفِه، لأن مَنْ ارتكب تلك الجرائم كانَ ومازالَ مؤمناً به، وهنا تكتَّمل الصورة، (قال الرسول: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أُعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ وأُحلّت لي الغنائم، ولم تُحلّ لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامّة).[5]

---

(1) المغنى: 565/10_566

(2) سنن سعيد بن منصور (كِتَابُ الْجِهَادِ) بَابُ: مَا جَاءَ فِي حَمْلِ الرُّءُوسِ

(3) الأنفال:12

(4) آل عمران:151

(5) شرح أحاديث عمدة الأحكام شرح الحديث الـ 42 «أُعطيت خمسا»

ثقافة الرُعب وإشاعتها جعلَتا مِنْ الرؤوس الإنسانية وبغض النَظر عَنْ المُبررات تَتَّدحرج بيد ساديين تَفنَّنوا بالقتلِ، فهذا عمرو بن العاص وحينَ حِصاره الإسكندرية ظَفرَ برجل مِن المُسلمين فأخذوا رأسه، وجاء قومه عمراً مغضبين، فقال لهم عمرو: (خذوا رجلاً منهم فاقطعوا رأسه، فارموا به إليهم في المنجنيق).[1]

(1) المغني لابن قدامة ـ كتاب الجهاد ـ الجزء رقم9

مُتَّلازمة كردستان ومُتَّلازمة ستوكهولم في كردستان

بعدَ أنْ تحَولَ الكردي الى ضحية لِحملات إبادة ثقافية مُتَّعددة الهويات، لإمبراطوريات سبقت الإمبريالية الثقافية واللغوية وبأشكال أكثر همجية، بدأ يُمارس الإبادة الذاتية بِحق ذاته التائهةِ والمُتَّناقضة كجزء مِنْ حالةِ الاغتراب معَ الهوية وتأريخه المُعلنْ والمُسَرب لِتاريخ الشعوب المُجاورةِ أو المُتَّداخلة معه.

تَقديس قادة الاحتلال ضِمنَ عملية تَزوير تاريخية يُمارسه الكردي المتأسلم بلا وعي لِتشويه وعيه، لا يُمكن تفسيره الا في سياقِ مُتَّلازمة ستوكهولم كظاهرة نفسية تُصيب الفرد عِندما يتَّعاطف أو يتَّعاون مع عدوه. طقوس اللعنةِ والرَجمِ الذي يُمارسه الكردي بِحقْ المُقاومين الكرد مِنَّ الذين وقفوا بوجهِ حَملات الاحتلال الاسلامي لِكُردستان هي «مُتَّلازمة كردستان»، وهي ظاهرة نفسية تُصيب الفرد باحتقارهِ للمُدافعين عَنْ حُريتهِ وإنسانيتهِ كمُقدمة للوقوع في فَخِ مُتلَّازمة ستوكهولم بتَّعاطفِ الضَحيةِ معَ جلاده.

إنَّ وجود دولي كافران (وادي الكفار)، وهي مَقابر جماعية للمُقاومين الكُرد فترة الاحتلال الاسلامي لكردستان، ومُمارسة طقوس اللعنةِ الدينية بِحَقِهِمْ، هي جزء مِنْ مازوشية ثقافية تُمارس في أغلبِ أجزاء كردستان.

ظاهرة تَقديس قادة الاحتلال وجَعل شواخصهم مَزارات مُقدسة أو

أسماء لمدنٍ كردستانية هي حالة إغتراب مع التاريخ، هي مازوشية ثقافية يُمارسها الكردي بحقِ الذاتْ، فعلى سبيل المثال يتَّخذْ الكرد مِنْ قبر أبو دجانة الأنصاري في قضاء رانية التابعة لمُحافظة السليمانية مزاراً يتَّبركون بهِ ويطلبون مِنه مُرادهم!

بعدَ أنْ تمَ تَجريد الكرد مِنْ هويتهم الثقافيةِ وتَرحيلهم قسراً في التاريخ الذي كُتِبَ بحدِ السيفِ جوار خيمة بدوية أو قصر تركـي وفارسي، لجأ الكردي إلى الجبلِ صديقاً ليحمي هويته. في الطرف الآخر لجأ أعداؤهم الى حافاته لتَّجريد مَنْ هُم دُونَ الجبلِ لتَعريبهم، وتَتريكهم، وتَفريسهم، بل ونفيهم مِنْ قائمةِ الجِنس البشري وتَجريدهم مِنْ آدميتِهم (ومن الناس من ألحقهم بإماء سليمان بن داود عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على إمائه المنافقات الشيطانُ المعروف بالجسد، وعصم الله منه المؤمنات أن يقع عليهن، فعلق منه المنافقات، فلما رَدَّ اللهّ على سليمان مُلْكه ووضع تلك الإماء الحوامل من الشيطان قال: أكردوهن إلى الجبال والأودية، فربتهم أمهاتهم، وتناكحوا، وتناسلوا، فذلك بدء نسب الأكراد).[1]

أكراد الجبل أعلنوا المُقاومة ضِدَ عمليات التَجريد الهَوياتي، وعِندَ حافاته حيث أكراد القرى والمُدن تعرضوا الى عملياتِ تشويه مُنظمة جعلَ مِنْ غالبيتهم كُتلة سكانية مُغتَّربة، وتائهة، ومُتنازعْ عليها بينَ الجبل الكردي المُقاوم ورايات الإمبراطوريات القومية (العربية، والفارسية، والتركية) التي إغتَصبتْ الدين كمُقدمة لاغتصاب أُمَمْ وشعوب مُتَّداخلة أو مُجاورة لها.

تَحَولْ الكردي الى ضحيةٍ تاريخية لِحملات إبادة ثقافية مُتَّعددة الهويات لإمبراطوريات سَبقتْ الإمبريالية الثقافية واللغوية وبأشكال أكثر

(1) مروج الذهب ـ المسعودي ص218

همجيةً جعلَ مِنَّ الإبادة الذاتية الذي يُمارسه الكردي بِحق ذاته التائهةِ، والمُتَّناقضة جزء مِنْ حالةِ الاغتِراب مع الهوية، والذي يتَّجلى بطقوسِ اللعنةِ والرَجمْ الذي يُمارسه الكثير مِنَ الكرد المُسلمين، وهم أحفاد مَنْ خضعَ صاغراً لِسيوفِ الفتوحات الاسلامية بِحَقِ أجدادهم المقاومين مِنَ الكرد الايزديين الذين وقفوا بِوجه حملات احتلال كردستان ومَسخ الهوية الكردية.

إنَّ وجود دولي كافران (وادي الكفار) في الكثير من مناطق كردستان يؤكد بان لَعنة البعض لِتاريخنا الثوري ومُقاومتهم للمُحتَّلين جزء مِنْ حاضنةِ فكرية، تكفيرية، تَتَّجدد بتكفيرِ الكرد الاصلاء من الايزديين من قبل الكرد المتأسلمين.

السادية الثقافية وهي شكل مِنْ أشكال «الإبادة الذاتية» التي يُمارسها الكردي تِجاه تراثه القومي والثوري تُقابلها «مازوشية ثقافية» تُمارس في أغلبِ أجزاء كردستان. الكُردي يُمارس السادية والمازوشية الذاتية في الوقت ذاته، وهذا يُمثل مفتاح حَل شَفرة الشخصية الكردية التي مارست من منطلقات اسلامية جرائم وحشية ضد ابناء جلدتهم ليتم تشويههم لاحقاً على يد المؤرخين الاسلاميين فعن المقريزي (الشيخ عدي هو عدي بن مسافر الهكاري ـ بتشديد الكاف ـ صحب عدة من مشايخ الصوفية، وسكن جبل الطائفة الهكارية من مشايخ الصوفية، وسكن جبل الطائفة الهكارية من الأكراد، وهو من أعمال الموصل، وبني له به زاوية، فمال إليه بتلك النواحي من بها، واعتقدوا صلاحه، وخرجوا في اعتقاده عن الحد في المبالغة، حتى مات عن تسعين سنة، في سنة سبع ـ وقيل خمس ـ وخمسين وخمسمائة، فدفن بزاويته، وعكفت طائفته المعروفة بالعدوية على قبره، وهم عدد كثير، وجعلوه قبلتهم التي يصلون إليها، وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها، وصار قبره أحد المزارات المعدودة، والمشاهد

المقصودة، لكثرة أتباعه، وشهرته هو في الأقطار، وصار أتباعه يقيمون بزاويته عند قبره شعاره، ويقتفون آثاره، والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد، وتعظيم الحرمة، فلما تطاولت المدة، تزايد غلو أتباعه فيه حتى زعموا أن الشيخ عدي بن مسافر هذا هو الذي يرزقهم، وصرحوا بأن كل رزق لا يأتي من الشيخ عدي لا نرضاه، وأن الشيخ عدي جلس مع الله تعالى ـ عن قولهم ـ وأكل معه خبزاً وبصلاً، وتركوا الصلوات المفروضة في اليوم والليلة، وقالوا الشيخ عدي صلى عنا، واستباحوا الفروج المحرمة، وكان للشيخ عدي خادم، يقال له حسن البواب، فزعموا أن الشيخ لما حضرته الوفاة، أمر حسن هذا أن يلصق ظهره، فلما فعل ذلك قال له الشيخ: انتقل نسلي إلى صلبك، فلما مات الشيخ عدي ولم يعقب ولداً، صارت ذرية الشيخ حسن البواب تعتقد العدوية فيها أنها ذرية الشيخ عدي، وتبالغ في إكرامهم، حتى أنهم ليقدمون بناتهم إلى من قدم عليهم من ذرية الشيخ حسن، فيخلو بهن، ويقضي منهن الوطر، ويرى أبوها وأمها أن ذلك قربة من القرب التي يتقرب بها إلى الله تعالى، فلما شنع ذلك من فعلهم انتدب لهم رجل من فقهاء العجم يتمذهب بمذهب الشافعي ـ رحمه الله ـ ويعرف بجلال الدين محمد بن عز الدين يوسف الحلواني، ودعا لحربهم، فاستجاب له الأمير عز الدين البختي صاحب جزيرة ابن عمر والأمير توكل الكردي ـ صاحب شرانس ـ وجمعوا عليهم كثيراً من الأكراد السندية ـ وأمدهم صاحب حصن كيفا بعسكر، وأتاهم الأمير شمس الدين محمد الجردقيلي، وساروا في جمع كبير جداً إلى جبل هكار، فقتلوا جماعات كثيرة من أتباع الشيخ عدي ـ وصاروا في هذا الوقت يعرفون بين الأكراد بالصحبتية، وأسروا منهم خلائق حتى أتوا الشرالق ـ وهي القرية التي فيها ضريح الشيخ عدي ـ فهدموا القبة المبنية عليه، ونبشوا ضريحه

وأخرجوا عظامه، فأحرقوها بحضرة من أسروه من الصحبتية، وقالوا لهم: انظروا كيف أحرقنا عظام من ادعيتم فيه ما ادعيتم، ولم يقدر أن يدفعنا عنه. ثم عادوا بنهب كثير، فاجتمعت الصحبتية بعد ذلك وأعادوا بناء القبة، وأقاموا بها على عادتهم، وصاروا عدواً لكل من قيل له فقيه، يقتلونه حيث قد قدروا عليه، ولو شاء ربك ما فعلوه).[1]

تَقديس قادة الاحتلال وجَعل شواخصهم مَزارات مُقدسة أو أسماء لمدنٍ كردستانية، هي حالة الاغتراب مع التاريخ في فضاء المكان، هي مازوشية ثقافية، فعلى سبيل المثال يتَّخذ الكرد مِنْ قبر ابو دجانة الأنصاري في قضاء رانية التابعة لمحافظة السليمانية مزاراً يتَّبركون ويطلبونَ مِنه مُرادهم.

الحقيقة إنَّ القَبر الموجود في رانية ليسَ بِقبر أبو دجانة الأنصاري، وهو (سماك بن خرشة ويقال سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبد ود ابن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر أبو دجانة الأنصاري) والذي شَهدَ بدراً وقُتل في يوم اليمامة (معركة اليمامة أو معركة عقرباء سنة 11 هـ من الهجرة / 632 م في عهد أبي بكر الصديق. واليمامة إحدى معارك حروب الردة). وفِقَ رواية حمادة وغيره فانه لَمْ يُقتل ولَمْ يُدفن في كردستان، (روى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: رمى أبو دجانة بنفسه في الحديقة يومئذ فانكسرت رجله فقاتل حتى قتل. وقيل: إنه عاش حتى شهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه صفين والله أعلم وإسناد حديثه في الحرز المنسوب إليه. [2]

أما قَبر عُكاشة في كاميران فهو مُختَّلقْ أيضاً لأن عُكاشة بن مِحْصن

(1) السلوك لمعرفة دول الملوك ـ المقريزي ص1171

(2) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر ـ ص197

بن حُرْثَان بن قيس بن مرّة بن كثير بن غَنْم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسديّ المُكنى أبا محصن قتل في قتال أَهل الردّة، في خلافة أبي بكر سنة 11 كما يذكر ابن الاثير في كتابه «أسد الغابة في معرفة الصحابة» وما أكده ابن عبد البر في «الاستيعاب».

إنَّ معركة بزاخة حصلت عام 11 هـ في فترة حكم أبو بكر الصديق، وهي جزء من حروب الردة، وسميت بهذا الاسم نسبة لبزاخة، وهي ماء لطي بأرض نجد. فعن أم قيس بنت محصن قالت: (توفي رسول الله وعكاشة ابن أربع وأربعين سنة، وقتل بعد ذلك بسنة ببزاخة في خلافة أبي بكر الصديق سنة اثنتي عشرة، وكان عكاشة من أجمل الرجال).[1]

أما قَبر مقداد بن اسود الكندي في شهربان ورانية، فَقد بُنيَّ بِمخيلةِ مازوشية في وعي جمعي سلبي يُحركه رجال دين كُرد بغيةِ الاستفادة مِنْ المراقد اقتصاديا وسياسياً، لأن المقداد قَد دُفِنَ بالجرفِ قُرب المدينة، حيث يروي ابن سعد في الطبقات الكبرى» كان له غلام رُوميٌّ؛ فقال له: أشقّ بطنك فأخرج من شحمه حتى تلطف، فشقَّ بطنه ثم خاطه؛ فمات المقداد، وهرب الغلام. وقيل أنه شرب دُهْن الخِرْوَع فمات. ومات المقداد بالجُرُف على ثلاثة أميال من المدينة فحُمل على رقاب الرجال حتى دُفن بالمدينة بالبقيع وصلّى عليه عثمان بن عفان، وذلك سنة ثلاثٍ وثلاثين، وكان يومَ مات ابن سبعين سنة أو نحوها. وأوصى إلى الزبير بن العوام، وجعل عثمان بن عفان يثني عليه بعد موته».[2]

ويروي ابن حجر «كان المقداد طويلا آدم كثير الشعر أعين مقرونا يصفر لحيته وأخرج يعقوب بن سفيان وابن شاهين من طريقه بسنده إلى

(1) ابن عبد البر: الاستيعاب 3/1080

(2) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد جـ3 ص 148

كريمة زوج المقداد كان المقداد عظيم البطن وكان له غلام رومي فقال له أشق بطنك فأخرج من شحمه حتى تلطف فشق بطنه ثم خاطه فمات المقداد وهرب الغلام»[1]

وكَتبَ ابن سعد «قال: أخبرنا محمّد بن عبد الله الأسديّ قال: أخبرنا عمرو بن ثابت أبي المقْدام عن أبيه عن أبي فائد أنّ المقداد بن الأسود شرب دُهْن الخِرْوَع فمات. قال: أخبرنا محمّد بن عمر قال: أخبرنا موسى بن يعقوب عن عمّته عن أمّها كريمة بنت المقداد قالت: مات المقداد بالجُرُف على ثلاثة أميال من المدينة فحُمل على رقاب الرجال حتى دُفن بالمدينة بالبقيع وصلّى عليه عثمان بن عفّان، وذلك سنة ثلاثٍ وثلاثين».

جميع المصادر الإسلامية تؤكد دفنهِ في الجرف ومنهم ابن الأثير وابن سعد (هذا وقد توفي المقداد بالمدينة في خلافة عثمان، بأرض له بالجرف، وحمل إلى المدينة، وكان عمره سبعين سنة يقول ابن سعد: مات المقداد بالجرف، على ثلاثة أميال من المدينة، فحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالمدينة بالبقيع، وصلى عليه عثمان بن عفان، وذلك سنة ثلاث وثلاثين، وكان يوم موته ابن سبعين سنة أو نحوها).[2]

أما قصة قَبر أبو عبيدة الجراح في منطقة (عه با به يلي) التابعة لمحافظة حلبجة، فان وقائع التاريخ يؤكد أكذوبة القَبر حيث ورد في تاريخ الطبري الموسوعة الشاملة، ج2 ص488 (ان أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري القرشي (40 ق هـ/584م ـ 18هـ/639م) (لما اشتعل الوجع (الطاعون) قام أبو عبيدة في الناس خطيباً فقال: «أيها الناس، إن هذا

(1) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ 6/203

(2) أسد الغابة 254 / 5، طبقات ابن سعد 115 / 3 ـ 116

الوجع رحمة بكم، ودعوة نبيّكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يَقسم له منه حظَّه»، فطُعن فمات).[1]

وعن سعيد المقبري قال: (لما أصيب أبو عبيدة قالوا لمعاذ بن جبل: «صلِّ بالناس»، فصلى معاذ بهم، ثم خطب فقال: «أيها الناس، إنكم فُجِعْتُم برجل ما رأيت أحداً من عباد الله قط أقل حقداً ولا أبرأ صدراً ولا أبعد غائلة ولا أشد حياءً ولا أنصح للعامة منه، وذلك هو أبو عبيدة بن الجراح، فترحموا عليه، رضي الله عنه).[2]

مِنْ المناطق التي يُحتَّمل وجود قَبره، هو غور البلاونة، لان وفاته كان في الشام (يوجد حاليّاً «مزار أبي عبيدة» في «غور البلاونة» على الطريق العام الذي يقطع غور الأردن من الشمال إلى الجنوب، وعلى بعد أربعين ميلاً من مدينة السلط. وكان الظاهر بيبرس قد بنى على قبر أبي عبيدة مَشهداً، وأوقف عليه وقفاً ريعه للمؤذّن والإمام).[3]

ويؤكد ياقوت الحموي احتمال دفنهِ بالأردن (هناك اتفاق وتواتر بوفاة أبي عبيدة في الشام بسبب الطاعون، وهناك تواتر بأنه توفي بالغور الأردني، ولكن لم يوجد اتفاق على بقعة محددة من الغور، ولكنّهم ذكروا أماكن متقاربة تساعد على حصر المكان في بقعة صغيرة تجعل زائر قبر أبي عبيدة مطمئناً أنه يقف أمام قبر حقيقي؛ إذ قال ابن سعد إنه قُبر بعمواس، ونقل ابن عساكر عن عطاء أن قبر أبي عبيدة في بيسان، وبيسان تقع غربي نهر الأردن في الغور، في الجهة المقابلة من مزار أبي عبيدة، ويؤوَّل قوله «في بيسان» أنه في كورة بيسان أو

(1) تاريخ الطبري ـ الموسوعة الشاملة، ج2 ص488
(2) أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ـ شبكة الألوكة
(3) أبو عبيدة عامر بن الجراح ـ محمد حسن شراب ص238 ـ 240

صقع بيسان، وليس بالضرورة أن يكون في بقعة بلدة بيسان، لأن القدماء كانوا ينسبون الأمكنة إلى أشهر مكان قريب، وبيسان هي أشهر الأماكن في تلك الناحية. ونقل الذهبي «أنه أدركه أجله بفِحْل فتوفي بها بقرب بيسان»، وفحل على الضفة الشرقية من النهر أمام بيسان، ولذلك يقال للمعركة المشهورة «فحل بيسان».

وقال ياقوت الحموي: عمتا: «قرية بالأردن، بها قبر أبي عبيدة بن الجراح، وهي وسط الغور». وهو ليس في بقعة عمتا، وإنما يقع إلى الجنوب منها، ولكن عرَّفه بأقرب القرى. وقال ياقوت: «قيل إنه في طبرية، وطبرية من الغور الأردني».[1]

المَصادر الاسلامية وعلى خِلاف الافتراض الكُردي بقبرهِ الوهمي في حلبجة تؤكد وجود القَبر في الاردن، وهذا ما ذهب اليه ابن بطوطة (وقال ابن بطوطة المتوفى عام 756هـ: «فمررتُ بالغور، وهو وادٍ بين تلال به قبر أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأرض رضي الله عنه، زرناه وعليه زاوية فيها الطعام لأبناء السبيل وبتنا هنالك ليلة. ثم وصلنا إلى القصير وبه قبر معاذ بن جبل رضي الله عنه، وتبركتُ أيضاً بزيارته».[2]

لِنفرض إن قَبر أبو عبيدة في حلبجة هو قبر أبو عبيدة بن عامر بن محسن. هذا الاحتمال لا يَستقيم مع نهاية أبو عبيدة بن عامر بن محسن لأنه قُتِلَ في معركةِ بئر معونة الذي وقعَ في صفر سنة 4 للهجرة، أي بعدَ أربعة أشهر من معركةِ أحد وإنَّ بئر معونة تَقع غرب المَهد (معدن بني سليم قديما) إلى الشمال، وتتصل غرباً بحرة الحجاز العظيمة.

(1) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي، الموسوعة الشاملة، ج4 ص153
(2) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ ابن بطوطة، ج1 ص45

لِنَضع احتمالا آخر، وهو إنَّ القَبر الموجود في حلبجة هو لأبو عبيدة بن عبد الله المسعودي، وهذا الاحتمال غير وارد لان أبو عبيدة بن عبد الله المسعودي قُتِلَ ودفن في الدجيل التابعةِ لمُحافظة الكوت.

مازوشية الكُردي المُغتَّرب عَنْ هويته وتاريخه يبلُغَ مداها بتَّضخيم صورة المُحتَّل وتأليهه، فعلى سبيل المِثال إنَّ وعيه الجَمعي المُغرق بالمازوشية جَعلَ مِنْ مَساحة قَبر سعد بن أبي وقاص 14 متراً، وتَّمَ تسميته بالصحابي الطَويل.

قَبر سعد بن أبي وقاص الموجود في طريقِ قرية ديليزة الواقعة في منطقةِ قره داغ التابعة لمحافظةِ السليمانية جزء مِنْ عملية تشويه الوعي وتأكيد لِحالة الاغتراب الذي يَعيشه الكردي المُسلم، لان سعد بن أبي وقاص (مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان(توفى سنة خمس وخمسين مِنَ الهجرةِ النبوية ودُفن في البقيع وهي المَقبرة الرئيسة لأهل المدينة المُنورة.

يؤكد البلاذري وفاته في قصره في العقيق قرب المدينة (وقال الواقدي في إسناده: كان سعد قصيراً دحداحاً غليظاً ذا هامة شثن الأصابع، أشقر يخضب بالسواد، ومات في قصره بالعقيق وهو على عشرة أميال من المدينة فحمل على رقاب الرجال إلى المدينة). [1]

أما قَبر عبد الله بن أبي أيوب الأنصاري في قرية سرجيا التابعة لِقضاء قلعة دزة التابعة لمحافظةِ السليمانية فان (عبد الله بن أبو أيوب

(1) أنساب الأشراف ـ أحمد بن يحي بن جابر البلاذري ص 3/293

الأنصاري، خالد بن زيد بن كليب الخزرجي النجاري)، هو صحابي من الأنصار، شهد بيعة العقبة وغزوة بدر وغزوة أحد، وشهد مع علي موقعة الجمل وصفين، وكان على مُقدمتهِ يوم النهروان، وقيل إنه لَمْ يَشهد صفين، ولكنه شَهدَ النهروان. توفي أبو أيوب الأنصاري سنة خمسين من الهجرة، وقيل سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة اثنتين وخمسين.

يَذكُر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية (وكان في جيشٍ متوجهٍ لفتح القسطنطينية، يقوده يزيد بن معاوية في زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان، فمرض أبو أيوب، فدخل عليه يزيدٌ يعوده فقال: «ما حاجتك؟»، قال: «حاجتي إذا أنا مت فاركب، ثم سغ في أرض العدو ما وجدت مساغاً، فإذا لم تجد مساغاً فادفني ثم ارجع»، فتوفي أبو أيوب، ففعل الجيش ذلك، ودفنوه بالقرب من القسطنطينية).[1]

لِظاهرة الارتزاق (الجحوش) التي لازمت المُجتَّمعات الكردية أسبابها السياسية والاقتصادية. تَداخُل الشخصية السادية والمازوشية في الذات الكردية (المتأسلمة) دور كبير في إشاعة ثقافة الارتزاق وعلى وجه الخصوص المُرتَّزق الجهادي الذي ظَهرَ بِشكل كبير معَ إعلان داعش لدولة العراق والشام الإسلامية، وقَبلَ ذلك الدور السلبي الذي لَعبه قادة كرد عملوا على إنشاء ودعم خِلافات إسلامية، عربية كانت أو فارسية وتركية.

التحاق مئات الشباب مِنْ كردستان العراق للقتال مع داعش ضِدَ الحركة التحررية القومية الديمقراطية في غربي كردستان وحزب الاتحاد الديمقراطي(PYD) وقوات الحماية المرأة(YPJ) وقوات الحماية الشعبية (YPG) هو جزء من أزمة الهوية الذي يعيشه الإسلام الكردي كأفراد أو مُنظمات وأحزاب سياسية.

(1) البداية والنهاية ـ ج8 ص65

الشكل الآخر للإبادة الثقافية الذي تَعرضَ له الكرد هي عملية الصُلح المُزورة بينَ الكُردي وتاريخه، حيث يَعتَّقِدُ غالبية الكُرد بان أجدادهم قد دخلوا الإسلام طواعية، وبشكل سلمي، وهي حقيقة تُنفيها المَصادر الاسلامية قَبلَ غيرها.

حَد السَيف الصحراوي سَبقتْ الرسالة التي لَمْ تُقرأ، ففي فتوح البلدان (امتنعت رأس العين على عياض بن غنم ففتحها عمير بن سعد وهو والي عمر على الجزيرة بعد أن قاتل أهلها المسلمين قتالاً شديداً. فدخلها المسلمون عنوة ثم صالحوهم بعد ذلك على أن دفعت الأرض إليهم ووضعت الجزية على رؤوسهم على كل رأس أربعة دنانير، ولم تسب نساؤهم ولا أولادهم.[1]

وفي مختصر تاريخ دمشق (قال خليفة: إن أبا موسى الأشعريّ افتتح الرّها وسميساط، وما والاهما عنوة. وكان أبو عبيدة بن الجرّاح وجّه عياض بن غنم الفهريّ إلى الجزيرة فوافق أبا موسى بعد فتح هذه المدن، فمضى ومعه أبو موسى فافتتحا حرّان ونصيبين وطوائف الجزيرة عنوة). [2]

إنَّ فَسخ العَقد المُزور بينَ الكُرد وفاتحي مُدنهم لا يَعنيِّ بالضرورةِ رفض الجوانب الثورية والاجتماعية في الدين الاسلامي قدر تَعلُقِه بعمليةِ كشفٍ لِتاريخ علاقة يَجبْ أنْ تستَّقيمْ مع الوقائع.

إنَّ عمليات التَّتريك، والتَّفريس، والتَّعريب التي تَعرضَ لها الكُرد وكُردستان إتَّخذَت مِنَ الخطاب الديني وسيلة لإحداث عمليات التَّغيير الديمُوغرافي واللغوي باعتبارهما جزء مِنْ عمليات الإبادة الثقافية التي

(1) فتوح البلدان ـ البلاذري ص71

(2) مختصر تاريخ دمشق ـ ابن منظور ص 48 25

تَعرضَ لها الكُرد. عمليات التَّعريب بدأت مع الفتح الاسلامي على خِلاف ما يَعتقد الكثيرون بانها بدأت مع سياسات الحكومات العراقية والسورية عَقِبَ تشكيل الدولتين بموجب اتفاقية وخرائط سايكس بيكو.

إنَّ حَملات التَّعريب لَمْ تقتصر على شنكال لِوحدها، بل شَملتْ الموصل أيضاً، (حدثني العباس بن هشام الكلبي، عن أبيه، عن جده قال: أول من اختط الموصل وأسكنها العرب ومصرها هرثمة بن عرفجة البارقي).[1]

إنَّ حرب الإبادة الثقافية بِخاطبها الديني جعلَت عدد مِن القبائل الكردية وبِغرض تأكيد وتَثبيت سُلطتها الدينية في المُجتمع الكُردستاني تلجأ الى التشبثِ بالبيت الهاشمي كما يفعل بعض شيوخ عشيرة البرزنجية في جنوب كردستان.

إنَّ عملية تَغليب الديني على القومي بّعدَ وضع الكُردي بينَ خِيار الاختيار بين قوميته أو دينه ومذهبه تُمثِل انحطاطاً لأدعياء الخطاب الديني وإهانة للشعب الكُردي الذي جُعلَ في وضع الإختيار مِنْ بينَ الشعوب الاسلامية قاطبة.

يُمثل الكُرد الفيليون وهم أحفاد الإيلامين، وورثة أقدم الحضارات الكُردية، وهُم مِنْ اتباع مَذهب آل البيت نموذجاً لانتهازية الخطاب الديني الذي طرحَ عليهم عمليةِ المُفاضلة بينَ القومية والمذهب.

الشكل الآخر للإبادة الثقافية هو ما تعرضَ له الايزديون والشبك بعدَ قيام نِظام صدام حسين بتَّسجيلهم، وعلى خِلافْ إرادتهم في الاحصاء السكاني بأنهم جزء من القومية العربية.

(1) فتوح البلدان ـ البلاذري ص 133

إنَّ الجريمة التي اُرتكبت بحق الكرد في غربي كردستان مِنْ خلال مصادرة هويتهم القومية والوطنية تُمثِلُ أنفلة لِما يزيد عَنْ ربع مليون كردي بعدَ إجراء الإحصاء الاستثنائي الخاص بِمحافظة الحسكة عام 1962 والتي نَتَّجتْ عنها ما يُعرف بأجانب الحسكة والمَكتومين الذين يعيشون مأساة إنسانية قلَ نظيرها في التاريخِ البشري.

الشكل الآخر للإبادة الثقافية الذي تَعرضَ له الكرد، هي مُحاولات الأقوام المُجاورة بالاستيلاء على مُنتَّجِهم الثقافي والحضاري مِنْ خِلال تَفريس وتَتريك وتَعريب الأدباء والفنانين الكرد، أو أسلمتهم مع تَغييب انتمائهم القومي.

تَغيير أسماء المُدن الكردية جزء مِنْ حَملات الابادة الثقافية لأن ذاكرة المكان لها تأثيراتها السيكولوجية على الانسان وتشكل جزءاً من هويته القومية.

حروب الابادة الثقافية المُوجهة بِحقْ الكُرد وعمليات السَرقةِ والتَّشويه التي تَعرضَ لها النِتاج الثقافي والحضاري للشعب الكُردي شملت لُغتهم التي تُمثل العمود لفقري لهوية أية اُمة. لقد فرضت الإمبراطوريات القومية (العربية، والفارسية، والتركية) والمُغَلَّفةِ بالخطاب الديني الكثير مِنْ مُفردات لُغاتها (العربية، والفارسية، والتركية) على لغة النُخبة الثقافية والسياسية الكُردية مِنْ جهة، واخترقت بمفرداتها لغة عامة الناس مِنْ جهة أخرى.

لِمُقاومة حروب الإبادة الثقافية يجب أنْ نبحث في تاريخِ شعوب المنطقة بمنهجٍ علمي وديمقراطي، لأن الكثير من التاريخِ الكُردي قَد تمَ ترحيله قسراً الى تأريخ الشعوب التي تشترك معهم في الجوار أو التداخل.

إنَّ فك الاشتباك التاريخي في سياق كتابة التاريخ أمرٌ لابدُ مِنهُ معَ ضرورة الحذر مِنْ النزعات القومية الضيقة الأفق.

إنَّ مقاومة الإبادة الثقافية تَفرضُ على الباحث الدخول في مجاهلِ التاريخ بغرض إعادة كِتابته، إنطلاقاً مِنْ أكثر مناطقه تنازعاً، ولا يمكن النجاح في هذهِ العملية المعرفية إنْ لَمْ يَتَّسلح الباحث بالفكرِ الديمقراطي مؤمناً بان ما أنتجته شعوب الشرق هو جزء مِنْ التُراث الانساني المُشترك، لأن الصهر القومي ومواجهته يَنطلِقُ مِنْ جذوره الاجتماعية كما يؤكد المُفكر عبد الله اوجلان (إن الصهر هو أحد السياسات الاجتماعية التي غالباً ما تلجأ إليها أحلاف الحرب والسلطة).

إسراء السَيف ومِعراج الجَبلْ

انطلقَ الغزو العربي لاحتلال كُردستان تحت راية «لا اله الا الله» بحديث «محمد رسول الله» مُمهداً لِطريق السيف في ليلةِ اسرائه (عن النَّبيَّ، صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: «رُفِعَتْ لَيْلَةَ أَسْرِيَ بي مدينةٌ، فأَعْجَبَتْنِي، فقلتُ لجِبْرِيلَ: ما هذهِ المَدِينَةُ؟ فقال: نَصِيبِين. فقلتُ: اللّهم، عَجِّلْ فَتْحَها، واجْعَلْ فيها بَرَكةً للمسلمينَ»). [1]

إنها مُفارقة تكشفُ الكثير مِنَّ الحقائقِ، أولها إنَّ «محمد بن عبد الله بن عبد المطلب» وهو يَنطلِقُ للقاء ربه يُفكر بكيفية احتلال أراضي الغير مِنْ جهة، ويُمهِدُ الطريق بِحَدِ السيفِ لِجرائم تَنتَّظِر الكُرد في وطنِهم مِنْ جهةِ أخرى، وهذا ما تَحققَ في زمنِ الخليفة «عمر بن خطاب» بعدَ أن عُجِّلَ بفَتْحَ كُردستان مِنْ خلالِ إضفاء «المُقدس» الديني في حوارٍ حامل الرسالة معَ وسيطه الافتراضي.

تم غزو كُردستان واحتلال جنوبه وشرقه سنة (16هـ = 637م) من مدخلي مَنْدَلي وخانِقين، وغربه وشماله سنة (18هـ = 639م) من مدخلي الجزيرة ـ الرُّها. غياب المرجعية السياسية الكُردية بعدَ سقوط مملكة ميديا سنة (550 ق.م) على يد الفرس، والمرجعية الدينية بعد أن اتخذ الفُرس الديانة الزردشتيةَ سلاحاً أيديولوجياً للقضاء على مملكة ميديا.

(1) تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي

إنَّ انهيار الحالة الاقتصادية في كُردستان وتبعيتها للإمبراطورية الفارسية بعد سيطرة الثانية على طريق الحرير أدى الى تفكك اجتماعي ومن ثم تراجع للذات الكُردية نحو خيمة القبيلة والابتعاد عن مسار تطوره السياسي.

بعد أنْ سَقطتْ مُدن الشام والعراق واحدة تلو الأخرى بيد المُسلمين، فان المقاومة الكُردية ورغم شجاعتها وتضحياتها انهارت أمام المد الصحراوي، وذلك لاختلال الظروف الاقليمية لغير صالحهم كما ذكر «الحموي» في معجم بلدانه (كتب سعد إلى عياض بغَزو الجزيرة فغزاها في سنة 17 وافتتحها فكانت الجزيرة أسهل البلاد افتتاحاً لأن أهلها رآها بين العراق والشام وكلاهما بيد المسلمين فأذعنها بالطاعة فصالحهم على الجزية والخراج فكانت تلك السهول ممتحنة عليهم وعلى من أقام بها من المسلمين.[1]

نصيبين التي وردت في الإسراء لَمْ تكن سهلة على الغزاة، حيث قال فيها ابْنُ عتْبَانَ:

لَقـدْ لَقِيَـتْ نَصيبِيـن الـدَّوَاهِـي بِدُهْـمِ الخَيْـلِ والجُـرْد والـوِرَاد

وقال بعضهُم في ذكُرها:

ظَاهِرها مليحُ المنظرِ، وباطِنُها قبيحُ المَخْبر.

و

نَصِيبُ نَـصـيبِـينَ مِـنْ رَبِّـهـا ـ وِلاَيَةُ كُـلِّ ظـلُـومٍ غَـشُـومِ

فباطِـنُـهـا مِـنْـهُـمُ فـي لَـظـىً ـ وظَاهِرُهَا من جِنَانِ النَّعِيمِ[2]

(1) الحموي ـ معجم البلدان

(2) تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي

جدل العلاقة بين المُحتل والمكان هي علاقة عدائية.

أنشد الحاكم أبو الفتح عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد البيضاوي ببغداد، أنشدنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج لنفسه:

وعـدت بأن تـزوري بـعد شـهـر فـزوري، قـد تقضـي الشـهرزوري

وشـقة بـينـنا نـهـر الـمـعلـي إلـى البلـد المـسـمى شـهرزوري

فشـهر صدودك المحـتوم صـدق ولكـن شـهر وصلـك شـهرزوري[1]

وأنشدني ابن وهبان لنفسه ملغزا (شهرزور):

ما بلدٌ نصف اسمهِ جُزءٌ مـن الـزَّمـانِ

ونـصـفـه الآخـرُ لا يخلـو مـن البُهتـانِ

بينـهُ للـسَّـائلِ يـا ذا الـفهـم والـبـيانِ[2]

وقول ابن الأَعرابي، وقد ذكر شهرَزُورَ: قبّحها الله، إنّ رجالها لنُزْق وإنَّ عقاربها لبُرْق أَي أَنها تشول بأَذنابها كما تشول الناقة البَروق[3]

خوف المُحتَّل مِنْ طوبوغرافية البِلاد المُحتلة وبالأخص جنود الغزوات الصحراوية لبلاد الجبال تجسد في احتلال كردستان. كتب ابن الجوزي «وأقبلت الأعاجم بمجموعها حتى نزلوا نهاوند، وسار النعمان بن مقرن بالناس حتى إذا كان ببعض الطريق بعث بكير بن شداخ الليثي وطليحة بن خويلد الأسدي، فأما بكير فرجع، فقيل له: ما وراءك؟ قال: أرض الأعاجم وأنا بها جاهل، فخشيت أن يؤخذ عليّ بمضايق الجبال»[4]

---

(1) معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي

(2) تاريخ إربل ـ الْجُزْءُ الثَّانِي مِنْ تَارِيخِ بَنِي الْعَبَّاسِ الْفَصْلُ الثَّانِي فِي ذِكْرِ الْأَخْيَارِ وَالصُّلَحَاءِ » 134 ـ أَبُو نَصْرِ بْنِ وَهْبَانَ 570 ـ 618

(3) لسان العرب ـ ابن منظور

(4) المنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي «أبواب ذكر المخلوقات» باب ذكر ما جرى في سني الهجرة

الغزو الاسلامي لِكُردستان حاله حال بقية الغزوات وحروب النَهب والسَبي كان مُدججاً بسلاح الكراهية، فعن عمر بن خطاب «اللهم إني أعوذ بك من أولاد سبايا الجلوليات. فأدرك أبناؤهن من قتال صفين.[1]

يصف ابن الاثير تفاصيل المقاومات الكُردية وعلى وجه الخصوص رأس العين (سري كانيه) التي قاومت وتحولت الى رمز للمقاومة الكُردية ضد الغزاة (وكان عياض يغزو ويعود إلى الرهاء، وفتح سميساط، وأتى سروج ورأس كيفا والأرض البيضاء، فصالحه أهلها على صلح الرهاء. ثم إن أهل سميساط غدروا، فرجع إليهم عياض فحاصرهم حتى فتحها، ثم أتى قريات على الفرات، وهي جسر منبج وما يليها، ففتحها وسار إلى رأس عين، وهي عين الوردة، فامتنعت عليه وتركها وسار إلى تل موزن، ففتحها على صلح الرهاء سنة تسع عشرة، وسار إلى آمد فحصرها، فقاتله أهلها ثم صالحوه على صلح الرهاء، وفتح ميافارقين على مثل ذلك، وكفرتوثا، فسار إلى نصيبين فقاتله أهلها ثم صالحوه على مثل صلح الرهاء، وفتح طور عبدين وحصن ماردين، وقصد الموصل ففتح أحد الحصنين، وقيل: لم يصل إليها، وأتاه بطريق الزوزان فصالحه، ثم سار إلى أرزن ففتحها، ودخل الدرب فأجازه بدليس وبلغ خلاط فصالحه بطريقها، وانتهى إلى العين الحامضة من أرمينية، ثم عاد إلى الرقة ومضى إلى حمص فمات سنة عشرين). [2]

على خِلاف ما يشيعه الإسلاميون ومنهم الكُرد بدخول الكُردستانيين بشكل سلمي الدين الإسلامي فان المَصادر الإسلامية تؤكد خِلافَ ذلك، فَعنْ النويري (لما استعمل عمر عزرة بن قيس على حلوان حاول فتح شهرزور،

(1) الأخبار الطوال ص 129 ـ أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري الأخبار الطوال أبو حنيفة الدينوري ص50

(2) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ الجزء الثاني ـ ذكر فتح الجزيرة وأرمينية.

فلم يقدر عليها، فغزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان، فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت. وصالح أهل الصامغان وداراباذ على الجزية والخراج على أن لا يقتلوا ولا يسبوا ولا يمنعوا طريقاً يسلكونه، وقتل خلقاً كثيراً من الأكراد. وكتب إلى عمر: إن فتوحي قد بلغت أذربيجان. فولاه إياها وولى هرثمة بن عرفجة الموصل. ولم تزل شهرزور وأعمالها مضمومة إلى الموصل حتى أفردت عنها آخر خلافة الرشيد).[1]

إنَّ رسالة عياض بن غنم لعمر بن خطاب لا توضح الأهداف الاقتصادية لما سمي بالفتوحات الإسلامية فحسب، بل وتوضح الجوهر الطبقي لِلخلافة الإسلامية والتعامل الدوني بين حكامها.

كتب عياض لعمر «بسم الله الرحمن الرحيم من عياض بن غنم الأشعري إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. أما بعد: سلام الله عليك ورحمته وبركاته فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبته محمد صلى الله عليه وسلم فالحمد لله الذي أيد الإسلام بنصره وأدحض الشرك بقهره، ولله الحمد على ما أولى ومنح وأزال وكشف ورفع وصرف من عظائم، وأخذ من غنائم حمداً يزيد الآمال انفساحاً، والصدور انشراحاً، وقد لانت الشدة صلابتها ورقت الأيام بعد قساوتها ويسر الله تعالى أمرها، وقد أوردت الأعداء موارد المهالك، وضيقت عليهم المسالك فارتكبوا في زقاقهم، واشتركوا في وثاقهم، ولم يجدوا في الأرض نفقاً ولا في السماء مرتقى واشتد بهم الفرق وأزعجهم القلق وأنهم احتالوا وخايلوا وداهنوا وأرسلوا وأظهروا البعد عن الآثام والدخول إلى الإسلام والتنزه من الظلما، والجنوح

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري ـ (5/256)

إلى السلم فأقررناهم على ذلك بعد أن أشرفوا على المهالك، فمنهم من أسلم وبايع، ومنهم من أقام تحت الذمة وتابع، وقد نشر الله أعلامنا، وأعز ديننا، وقهر عدونا، وشد سيوفنا، وأعلى كلمتنا، وأظهر شريعتنا، وقد صرف الله سورتهم، وأخمد نارهم، وأزال نصرتهم، وكفى البلاد والعباد مؤنتهم، والحمد لله وحده، وصفى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته. وبعث خمس مت تحصل من ديار بكر من شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم».[1]

كيفَ كانت ستكون العِلاقة بينَ شعوب منطقتنا لو لَمْ يَطلُبَ «محمد بن عبد الله بن عبد المطلب» من ربه وهو في طريقه اليه أن يُعَّجِل باحتلال ونَهبْ وسَبي أهالي نصيبين وما جاورها مِنْ مُدن شعوب الشرق؟

بِغرض معرفة ما جرى في كُردستان من جرائم يجب أنْ نُحدِدْ حدودها التاريخية كما حددها القلقشندي (جبال الأكراد. قال في مسالك الأبصار: والمراد بهذه الجبال الجبال الحاجزة بين ديار العرب وديار العجم، دون أماكن من توغل من الأكراد في بلاد العجم قال: وابتداؤها جبال همذان وشهرزور، وانتهاؤها صياصي الكفرة من بلاد التكفور، وهي مملكة سيس وما هو مضاف إليها مما بأيدي بيت لاون، ثم ذكر منها عشرين مكاناً في كل منها طائفةٌ من الأكراد.

الأول دياوشت من جبال همذان وشهرزور، وهو مقام طائفة من الأكراد وله أمير يخصهم.

(1) فتوح الشام ـ الواقدي ـ 141

الثاني درانتك. وهو مقام طائفة ثانية من الكورانية أيضاً ولهم أمير يخصهم، قال في مسالك الأبصار: والطائفتان جميعاً لا تزيد عدتهم على خمسة آلاف رجل.

الثالث دانترك ونهاوند إلى قرب شهرزور. وهي مقام طائفة منهم تعرف بالكلالية يعرفون بجماعة سيف عدتهم ألف رجل مقاتلة، ولهم أمير يخصهم، وهو يحكم على من جاورهم من الأكراد.

الرابع مكان بجوار ديار الكلالية المقدم ذكرهم بجبال همذان. وهو مقام طائفة من الأكراد يقال لهم زنكلية. وعدتهم نحو ألفين ذوو شجاعة وحيلة، ولهم أمير يخصهم يحكم على بلاد كيكور وما جاورها من البقاع والكور.

الخامس نواحي شهرزور. قال في مسالك الأبصار: كان يسكنها طوائف من الأكراد طائفتان إحداهما يقال لها اللوسة والأخرى يقال لها الباسرية، رجال حرب، وأقيال طعنٍ وضرب؛ نزحوا عنها بعد واقعة بغداد ووفدوا إلى مصر والشام، وسكن في أماكنهم قومٌ يقال لهم الحوسة ليسوا من صميم الأكراد.

السادس مكان بين شهرروز وبين أشنه من أذربيجان، به طائفة من الأكراد يقال لهم السولية، يبلغ عددهم نحو ألفي رجل؛ وهم ذوو شجاعة وحميةٍ، وهم طائفتان لكل طائفة منهم أمير يخصهم.

السابع ـ بلاد بسقاد ـ وهي مقام طائفة من الأكراد يقال لهم القرياوية وبيدهم من بلاد أزبك أماكن أخر، قال: وعددهم يزيد على أربعة آلاف، ولهم أمير يخصم.

الثامن ـ بلاد الكركار ـ وهي مقام طائفة منهم يقال لها الحسنانية،

وهم على ثلاثة بطون: أحدها طائفة عيسى بن شهاب الدين، ولهم خفر قلعة بري والحامي، وثانيها طائفة تعرف بالتلية، وثالثها طائفة تعرف بالجاكية، وجميعهم نحو الألف رجل، ولكل طائفة أمير يخصهم.

التاسع ـ دربند قراير ـ وهو مقام الطائفة القرياوية ولهم خفارة الدربند المذكور، وصاحبه يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصري. وقد ذكر في التثقيف أن صاحبه كان سيف الدين بن سير الحسناني.

العاشر ـ بلاد الكرحين ودقوق الناقة ـ وبه طائفة منهم عدتهم تزيد على سبعمائة ولهم أمير يخصهم.

الحادي عشر بين الجبلين، من أعمال إربل. قال في مسالك الأبصار: وبها قوم كانوا يدارون التتر وملوك الديار المصرية، ففي الشتاء يعاملون التتر بالمجاملة، وفي الصيف يعينون سرايا الشام في المجاملة، قال: وعددهم كعدد الكلاكية، ولهم أمير يخصهم. وذكر أنه كان لهم في الدولة المنصورية قلاوون أميرٌ يسمى الخضر بن سليمان، كاتب شجاع، وأنه وفد إلى الديار المصرية فاخترمته المنية قبل عوده، وكان معه أربعة أولاد فعادوا بعد موته في الدولة الزينية كتبغا.

الثاني عشر مازنجان، وبيروه، وسمحة، والبلاد البرانية ـ وهي مقام طائفة منهم يقال لها المازنجانية لا تزيد عدتهم على خمسمائة، وهم طائفة ينتسبون إلى المحمدية، والمازنجانية هم طائفة المبارز كك الموجود اسمه ورسم المكاتبة إليه في دساتير المكاتبات القديمة، وقد أضيف إليهم الحمدية، وهم طائفة من الأكراد لا تنقص عدتهم عن ألف مقاتل، لأن أميرهم مبارز الدين كك، كان من أمراء الخلافة في الدولة العباسية، ومن ديوان الخلافة لقب بمبارز الدين، وكك اسمه، قال: وكان

يدعي الصلاح وتنذر له النذور، فإذا حملت إليه قبلها وأضاف إليها مثلها من عنده وتصدق بهما معاً، وذكر نحوه في التعريف ثم كان له في الدولة الهولاكوية المكانية العلية، واستنابوه في إربل وأعمالها، وأقطعوه عقرشوش بكمالها وأضافوا إليه هراة وتل حفتون وقدموه على خمسمائة فارس، وتولى الإمرة وقوانين نحو عشرين سنة، وبقي حتى جاوز التسعين وهمته همة الشبان ثم مات وخلفه ولده عز الدين فكان من أبيه نعم الخلف، وجرى على نهج أبيه في ترتيب المملكة وعلت رتبته عند ملوك التتر وملوك الديار المصرية ثم خلفه أخوه نجم الدين خضر فجرى على سمت أبيه وأخيه. ثم قال: وكانت ترد على الأبواب السلطانية بمصر ونواب الشام كتب تتهلل بماء الفصاحة كالسحب وتسرح من أجنابها الأبكار العرب. ثم خلفه ولده فجرى على سننه وبقيت الإمارة في بنيه، والأمير القائم منهم هو المعبر عنه في الدساتير بصاحب عقرشوش، وله مكاتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية.

الثالث عشر بلاد شعلاباد إلى خفتيان وما بين ذلك من الدشت والدربند الكبير ـ وهي مقام طائفة منهم تعرف بالشهرية معروفون باللصوصية، وهم قوم لا يبلغ عددهم ألفاً وجبالهم عاصية، ودربدنهم بين جبلين شاهقين يسقيهما الزاب الكبير. قال في مسالك الأبصار: وعليه ثلاث قناطر: اثنتان منها بالحجر والطين، والوسطى مضفورة من الخشب كالحصير، علوها عن وجه الماء مائة ذراع في الهواء، وطولها بين الجبلين خمسون ذراعاً في عرض ذراعين، تمر عليها الدواب بأحمالها، والخيل برجالها. وهي ترتفع وتنخفض، يخاطر المجتاز عليها بنفسه؛ وهم يأخذون الخفارة عندها؛ وهم أهل غدر وخديعة لا يستطيع المسافر مدافعتهم، ولهم أمير يخصهم؛ ولصاحبها مكاتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية.

الرابع عشر ماذكرد والرستاق، ومرت، وجبل جنجرين المشرف على أشنه من ذات اليمين ـ وهو مقام طائفة منهم يقال لهم الزرزارية، ويقال إنهم ممن تكرد من العجم، ولهم عدد جم، يكاد يبلغ خمسة آلاف ما بين أمراء وأغنياء وفقراء وأكارين وغيرهم، وجبلهم في غاية العلو والشهوق في الهواء، شديد البرد، بأعلاه ثلاثة أحجار طول كل حجر منها عشرة أشبار في عرض دون الثلاثة، متخذة من الحجر الأخضر الماتع، وعلى منها كتابة قد اضمحلت لطول السنين، يقال إنها نصبت لمعنى الإنذار والإخبار عمن أهلكه الثلج والبرد هناك في الصيف، وهم يأخذون الخفارة تحته. قال في مسالك الأبصار: وكان لهم أمير جامع لكلمتهم اسمه نجم الدين باشاك، ثم تولاهم من بعده ابنه جيدة، ثم ابنه عبد الله. قال: وكان لهم أمراء آخرون منهم الحسام شير الصغير، وابنه باشاك وغيرهم، قال: وينضم إلى الزرزارية شرذمة قليلة تسمى باسم قريتها بالكان نحو ثلاثمائة رجل منفردين بمكان مشرف على عقبة الحان يأخذون عليها الخفارة، ولصاحب ماذكرد مكاتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، ثم قال في التثقيف: وهو حنش بن إسماعيل.

الخامس عشر جولمرك ـ وهو مقام طائفة تسمى الجولمركية، وهم قوم نسبوا إلى مكانهم ذلك فعرفوا به، ويقال: لأنهم طائفة من العرب من بني أمية اعتصموا بهذه الجبال عند غلبة بني العباس عليهم، وأقاموا بها بين الأكراد فانخرطوا في سلكهم، قال في مسالك الأبصار: وهم الآن في عدد كثير، يزيدون على ثلاثة آلاف، كان ملكهم في أوائل دولة التتر أسد بن مكلان، ثم خلفه ابنه عماد الدين، ثم ابنه أسد الدين، وببلاده معدن الزرنيخين: الأحمر والأصفر، ومنها ينقل إلى سائر الأقطار، قال: وكان قد ظهر عنده معدن لازورد فأخفاه لئلا يسمع به ملوك التتر

فيطلبونه، ومعقله من أمنع المعاقل، على جبل مقطوع بذاته، والزاب الكبير محدق به لا محط للجيش عليه، ولا وصول للسهام إليه، وسطحه متسع للزراعة، وفي كل ضلع من أضلاعه كهفٌ مرتفع يأوي إليه من أراد الامتناع، وأعلاه مغمور بالثلج والصعود إليه في بعض الطريق يستدعي العبور على أوتاد مضروبة. ومن لا يستطيع التسلق جر بالحبال، وكذلك بغال الطواحين، وملكهم معتمدٌ عند الأكراد، وهو يأخذ الخفارة من جميع الطرقات، من تبريز إلى خوي ونقجوان وهذا هو المعبر عنه في التعريف وغيره من الدساتير في المكاتبات بصاحب جولمرك، وهو يكاتب من الأبواب السلطانية بالديار المصرية.

السادس عشر بلاد مركوان على القرب من الجولمركية كثيرة الثلوج والأمطار، بلاد زرع وضرع ـ وهي متاخمة لأرمية من بلاد أذربيجان وبها طائفة من الأكراد تبلغ عدتهم ثلاثة آلاف، وهم أحلاف للجولمركية.

السابع بلاد كواردات ـ وهي بلاد مجاورة لبلاد الجولمركية من جهة بلاد الروم، وهي بلاد خصبة، وبها طائفة من الأكراد ينتسبون إليها لا إلى قبيلة، وعدتهم نحو ثلاثة آلاف، ولهم أمير يخصهم.

الثامن بلاد الدينار ـ وهي بلاد تلي بلاد الجولمركية، وبها طائفة من الأكراد يقال لهم الدينارية نسبة إلى بلدتهم، وعددهم نحو خمسمائة ولهم سوق وبلد، وكان لهم أميران، أحدهما الأمير إبراهيم ابن الأمير محمد، كان له وجه عند الخلفاء، والثاني الشهاب بن بدر الدين، توفي أبوه وخلفه كبيراً فخلفه في إمرته، وكان بينهم وبين المازنجانية حروب.

التاسع عشر بلاد العمادية وقلعة هارون. وهي بالقرب من بلاد الجولمركية، وبها طائفة منهم يقال لهم الهكارية يزيد عددهم على أربعة

آلاف مقاتل، ولهم إمارة تخصهم، قال في مسالك الأبصار: وهم يأخذون الخفارة في أماكن كثيرة من بخارا إلى بلد الجزيرة، وصاحب هارون يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية.

العشرون القمرانية وكهف داود ـ وبها طائفة منهم يقال لهم التنبكية. قال في مسالك الأبصار: وقليلٌ ما هم لكنهم حماةٌ رماةٌ وطعامهم مبذول على خصاصة.[1]

ويضيف القلقشندي (بعد أن ذكر في مسالك الأبصار ما تقدم ذكره عقب ذلك بذكر جماعة من الأكراد تفرقوا في الأقطار بعد اجتماع منهم التحتية، وهم قوم كانوا يضاهون الحميدية كان لهم أعيان وأمراء وأكابر، فهلك أمراؤهم ونسيت كبراؤهم، ولم يبق منهم إلا شرذمة قليلة تفرقت بين القبائل والشعوب، ثم قال: وشعبهم كثيرة: منهم السندية وهم أكثر شعبهم عدداً، وأوفرهم مدداً، كانوا يبلغون ثلاثين ألف مقاتل ومنهم المحمدية؛ وكان لهم أمير لا يزيد جمعه على ستمائة رجل. ومنهم الراسنية، كانوا أوفى عدد وعدد وجمع ومدد ثم تشتت شملهم، وتفرق جمعهم؛ وعادت عدتهم في بلد الموصل لا تزيد على ألف رجل وكان لهم أمير يقال له علاء الدين كورك بن إبراهيم في بلد العقر، ولا ينقص عن خمسمائة؛ ومنهم الدنيكية وهم متفرقون في البلاد لا يزيد عددهم على ألف رجل.

قلت: وقد ذكر في التثقيف عدة أماكن من بلاد وقلاع يكاتب أصحابها من الأكراد سوى من تقدم ذكره، وهم خمسة وعشرون موضعاً: إحداها برجو. الثانية البلهيئة. الثالثة كرم ليس. الرابعة اندشت. الخامسة حردقيل. السادسة سكراك. السابعة قبليس. الثامنة

(1) صبح الأعشى ـ القلقشندي ص673 ـ 676

جرموك. التاسعة شنكوس. العاشرة بهرمان. الحادية عشرة حصن أران وهو حصن الملك. الثانية عشرة..... الثالثة عشرة سونج، الرابعة عشرة اكريسا. الخامسة عشرة يزاركد. السادسة عشر الزاب. السابعة عشرة الزيتية. الثامنة عشرة الدربندات العرابلية. التاسعة عشرة قلعة الجبلين. العشرون سيدكان. الحادية والعشرون صاحب رمادان. الثانية والعشرون الشعبانية. الثالثة والعشرون نمرية. الرابعة والعشرون المحمدية. الخامسة والعشرون كزليك).[1]

(1) المصدر السابق

قادة الاحتلال

عياض بن غنم

عياض بن غنم هو القائد الاعلى لِجيوش الغزوات الإسلامية التي انتهت باحتلال أغلب أجزاء كُردستان. هو عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أبو سعد، وقيل: أبو سعيد الفهري القرشي. وهو من المهاجرين الأولين، أسلم قبل الحديبية وشهد الحديبية مع الرسول. ذكره الشاعر ابن الرقيات فيمن ذكره من أشراف قريش فقال:

عياض وما عياض بن غنمٍ كان من خير من أجن النساء

(هاجر الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة، وفي رواية ابن اسحاق شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد. قال ابن سعد انه ممن بايع بيعة الرضوان واستخلفه قرابته أبو عبيدة بن الجراح لما احتضر على الشام. كان أبوه يسمَى عبد غنم فلما أسلم عياض كره أن يقال له ابن عبد غنم فقال أنا عياض بن غنم).[1]

ينتمي عياض بن غنم الى قبيلة الفهري و(«الفِهْري» منسوب إلى

(1) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص 604

فِهر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة بن خُزيمَة بن مُدرِكَة بن إلياس بن مُضَر، وهو آخر بطون قريش، منهم عِياض بن غَنْم الفِهْري، وجماعة سواه من التابعين فمن بعدهم).[1]

رجعت زوجته عن الإسلام مع عدد آخر من نساء القادة والصحابة المسلمين. ارتداد نساء قادة وصحابة الخط الأول يؤشر الى حقيقة أنَّ دخولِهنَّ الإسلام كان بِحُكم تبعيتَّهُنَ لأزواجهن مِنْ جهة، وعدم قدرة هؤلاء الصاحبة بالتأثير على نسائهم، فعن ابن عباس(هن ست نسوة رجعن عن الإسلام ولحقن بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين: أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن أبي شداد الفهري. وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة، وكانت تحت عمر بن الخطاب، فلما هاجر عمر أبت وارتدت. وبروع بنت عقبة، كانت تحت شماس بن عثمان. وعبدة بنت عبد العزى، كانت تحت هشام بن العاص. وأم كلثوم بنت جرول تحت عمر بن الخطاب. وشهبة بنت غيلان. فأعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة. احذروا أن تتعدوا ما أمركم به الله الذي أنتم به مؤمنين).[2]

عن ابن منظور (طلق عمر بن الخطاب مليكة بنت أبي أمية، فتزوجها معاوية بن أبي سفيان، وطلق عمر أيضاً بنت جرول الخزاعية، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة، وطلق عياض بن غنم الفهري أم الحكم بنت أبي سفيان يومئذ، فتزوجها عبد الله بن عثمان الثقفي، فولدت له: عبد الرحمن بن أم الحكم).[3]

(1) عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ـ الحازمي ص30
(2) تفسير القرطبي ـ القرطبي ص3382 والمغازي ـ الواقدي ص254
(3) مختصر تاريخ دمشق ـ ابن منظور ص28 38

يقول ابن عبد البر ان الممتحنة 10 قد نزلت في زوجة عياض (أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، من مسلمة الفتح، كانت في حين نزول: قوله عز وجل: ﴿لا تمسكوا بعصم الكوافر﴾.[1]

هناك اختلاف بين المُؤرخين حول شخصية عياض بن زهير وعياض بن غنيم بن زهير، إنْ كان شخصاً واحداً أو شخصيتين مُختَّلفتين حيث يذكر ابن الاثير (وقال أبو أحمد العسكري، عن الجهني: عياض بن زهير، غير عياض بن غنيم بن زهير. والله أعلم.[2]

ويؤكد ابن تغري بردي الى ما ذهب اليه ابن الاثير (عياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال أبو سعد القرشي؛ كان أيضاً ممن شهد بدراً والمشاهد بعدها؛ هكذا قال ابن سعد، وفرق بينه وبين ابن أخيه عياض بن غنم بن زهير الفهري أمير الشام المتوفى سنة عشرين)[3]

هناك اختلاف في سلوك عياض، يصفه البعض بالزاهد والمتواضع، وآخرون بانه يحب حياة الترف. الذهبي وفي كتابه تاريخ الإسلام يصفه (كان رجلاً صالحاً زاهداً سمحاً جواداً) ويصفه ابن سعد في الطبقات الكبرى (كان رجلا صالحا سمحا)

أنَّ رواية ابن الجوزي في «المنتظم» يضع ظلالاً مِنَ الشك حول زهده كما وصفه الذهبي وابن سعد حيث كتب (كان عمر بن الخطاب إذا بعث عماله يشترط عليهم: أن لا تتخذوا على المجالس التي تجلسون فيها للناس باباً، ولا تركبوا البراذين، ولا تلبسوا الثياب الرقاق، ولا تأكلوا النقي، ولا تغيبوا عن صلاة الجماعة، ولا تطمعوا فيكم السعاة. فمر يوماً

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر ص 626
(2) أسد الغابة ـ ابن الأثير المؤرخ ص 887
(3) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ ابن تغري بردي ص35

في طريق من طرق المدينة وفي ناحية منها رجل يسأل، فقال: يا عمر تستعمل العمال وتعهد إليهم عهدك، ثم ترى أن ذلك قد أجزاك، كلا واللهّ إنك لمأخوذ بذا لم تعاهدهم، قال: وما ذلك. قال: عياض بن غنم يلبس اللين، ويفعل ويفعل، فقال: أساع؟ قال: بل مؤدي الذي عليه فبعث إلى محمد بن مسلمة أن الحق بعياض بن غنم فآتني به كما تجده، فانتهى إلى بابه وإذا عليه بواب، فقال له: قل لعياض على الباب رجل يريد أن يلقاك، قال: ما تقول. قال: قل له ما أقول لك. فذهب كالمتعجب، فأخبره، فعرف عياض انه أمر حدث، فخرج فإذا محمد بن مسلمة، فرحب به وقال: ادخل، وإذا عليه قميص رقيق لين، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن لا يفارق سوادي سوادك حتى أذهب بك كما أجدك، ونظر في أمره فوجد الأمر كما حدثه السائل. فلما قدم به على عمر وأخبره، دعا بدراعة وكساء وحذاء وعصا، وقال: أخرجوه من ثيابه، فأخرج منها وألبسه ذلك، ثم قال: انطلق بهذه الغنم فأحسن رعيتها وسقيها والقيام عليها، واشرب من ألبانها، واجتز من أصوافها، وارفق بها، فإن فضل شيء فأردده علينا. فلما مضى رده، وقال: أفهمت؟ قال: نعم، والموت أهون من هذا، قال: كذبت، ولكن ترك الفجور أهون من هذا. ثم قال له: أرأيت لو رددتك أتراه يكون فيك خير؟ قال: نعم واللهّ يا أمير المؤمنين، ولا يبلغنك عني شيء بعد هذا، فرده ولم يبلغه عنه شيء إلا ما أحب حتى مات.[1]

مثلما هناك اختلاف في زهده، فالاختلاف في شجاعته يكشفه الواقدي بعد هروبه في معركة اليرموك (قال الواقدي: حدثني ابن أبي نمرة عن عبد الحميد بن سهل عن جده قال: لما حملت الأزد يوم اليرموك ودوس ودوخت المشركين دوخة عظيمة وحمل المشركون حملة هائلة انكشف

(1) المنتظم ـ ابن الجوزي ص462

المسلمون وكان صاحب لوائهم عياض بن غنم الأشعري فولى منهزماً واللواء بيده، فصاح به الناس: إنما ثبات القوم وأهل الحرب بألويتهم، فابتدر لأخذه عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كلاهما يتسابق إليه فأخذه عمرو ولم يزل يقاتل به حتى انهزمت الروم وفتح الله على أيدي المسلمين، وكان اليوم الثالث من اليرموك يوماً شديداً انهزمت فيه فرسان المسلمين ثلاث مرات كل مرة تردهم النساء بالحجارة والعمد ويلوحون بالأطفال إليهم فيرجعون إلى القتال)[1]

رغم صحبته للرسول لَمْ نجد غير حديث رواه عنه وأعتبر حديثه ضعيفاً لضعف السند (أخرج ابن قانع من طريق القواريري عن عمرو بن الوليد الأغضف عن معاوية بن يحيى عن زيد بن جابر عن جبير بن نفير عن عياض بن غنم الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:» يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فإني مكاثر بكم» وسنده ضعيف من أجل عمرو).[2]

بِغُض النظر عَنْ زهده أو خِلافه، شجاعته أو نقيضه، فان عياض بن غنم الذي كان قائد للجيوش الإسلامية لاحتلال كُردستان يمثل جزء من الذاكرة المفقودة للشعب الكُردي الذي لا يعرف الا ما ندر عن القائد الذي إحتَّلَ بلاده وارتكب فيها الفظائع.

مالك بن الأشتر النخعي

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع، واسمه جسر بن عمرو بن علة بن

(1) فتوح الشام ـ الواقدي ص163
(2) الإصابة في معرفة الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ص830

جلد بن مالك شهد اليرموك وسيره عثمان من الكوفة إلى دمشق، وكان من أصحاب علي، وولاه مصر، فمات قبل أن يصل إليها.

لُقِّب بـ (الأشتر) لأن إحدى عينيه شُتِرَت، أي شُقّت في معركة اليرموك. ذكره محمد بن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة وكان مِنْ أصحاب علي وشهدَ معه الجَمل وصفين ومشاهده، وقال العجلي عنه «تابعي ثقة» وذكره ابن حبان في كتاب الثقات.

لَمْ تذكر لنا المصادر التاريخية تاريخاً محدِّداً لولادته، فقد قُدِّرت ولادته بين سنة (25 ـ 30) قبل الهجرة النبوية.

كانَ مالك بن الأشتر النخعي رئيس قومه، وممن سعى في ما تم تعريفه بالفتنة التي انتهت بمقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان.

مات مالك بن الأشتر النخعي بالقلزم كما يذكر السمعاني في» الأنساب»، (مات بالقلزم مسموماً سنة سبع وثلاثين من الهجرة، سممه معاوية في العسل، ولما بلغه الخبر قال: إن لله جنوداً من العسل).[1]

اغتياله بالسم السفياني رغم تركه لِمعُسكر علي بن ابي طالب يُمثِل انتقاماً أموياً لِدوره بما عُرف بالفتنة من جهة ووقوفه مع علي بن ابي طالب في بداية الخلاف بين معسكر علي ومعاوية، حيث كتب ابن الكلبي (قَتَلَته امُرّأة مِنْ لَخمٍ أَطعَمَتْهُ سُمَّاً فَشَربَ عَليّه عَسَلاً فَمَاتَ). [2]

قبيلة النخغ الذي ينتمي اليها مالك بن الأشتر النخعي هي مِنْ القبائل العربية الكبيرة والتي لَعبت دوراً مهماً قبل الإسلام وبعده. كتب الزركلي عن قبيلة النخع (وتنتسب قبيلة النخع إلى النخع وهو جسر بن

(1) الأنساب ـ السمعاني ص1368

(2) نسب معد واليمن الكبير ـ ابن الكلبي ص 65

عمرو بن علة بن جلد بن مالك، وهو مذحج.. وللنخع بطون عديدة منها: صهُبان، ووهبيل، وجسر، وجذيمة، وقيس، وحارثة، وصلاءة، ورزام، والأرت، ومن الأرت بنو عبد المدان وعبد الحجر بن المدّان).[1]

إنَّ أهمية ودور قبيلة مالك بِجذورها اليمنية وصلت لِدرجة تمَنيَّ الرسول الانتماء اليها، فعن الزركلي (النخع، واسمه (جسر) بفتح فسكون. ابن عمرو بن عُلة بن جلد بن مالك بن ادد: جد جاهلي يماني. بنوه قبيلة كبيرة من مذحج. نزل (بيشة) باليمن. ونزل بعض نسله، في الاسلام، الكوفة. قال عبد الله بن مسعود: شهدت رسول الله (ص) يدعو لحي (او قال: لهذا الحي) من النخع، حتى تمنيت اني رجل منها[2]

قال عنه ابن حَجَر: ذكره ابن حِبّان في (الثِّقات) قائلاً: شَهِد اليرموك فذهبت عينه يومئذ، وكان رئيس قومه. وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: ولَعمري لقد كان الأشتر.. شديد البأس، جواداً رئيساً حليماً، فصيحاً شاعراً، وكان يجمع بين اللين والعنف؛ فيسطو في موضع السطوة، ويرفق في موضع الرفق. أمّا الزِركْليّ فقد قال: شهد (مالك) اليرموك، وذهبت عينه فيها. على هذا اتّفقت المصادر جميعها. وقال معاوية: إنّه لكان لعليّ بن أبي طالب يدان يمينان: قُطِعت إحداهما بصِفِّين ـ يعني عمّار بن ياسر ـ وقُطعت الأُخرى اليوم ـ يعني مالك الأشتر).[3]

كانت له شخصيّة طموحة ولَمْ يَمدح أحداً أو يفضّله، إلاّ علي بن ابي طالب، فكان يتَّلذّذْ بِمَدحهِ ونَشر فضائله، فيقول:

هـذا علـيٌّ فـي الدُّجـى مصبـاحُ نحــن بــذا فــي فضلِــه فِصــاحُ

(1) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ د. جواد علي ص 956
(2) الأعلام ـ الزركلي ص1240
(3) ناسخ التواريخ: 1/287، سفينة البحار: 4/386.

ويقول أيضاً:

مَـــن رأى غُـــرّةَ الإمـــام علـــيٍّ إنّـــه فـــي دُجـــى الحَنـــادِسِ نُـــورُ
إنّـــه والـــذي يَحُـــجّ لـــه النّـــا سُ سِـــراجٌ لـــدى الظـــلام منيـــرُ
مَـــن رضـــاه إمامُـــه دخـــلَ الـــ ـــجَنَّة عَفْـــواً، وذَنبُـــه مغفـــورُ

مِنَّ الضرورةِ أنْ نُشير الى اختلاف ممارسات قادة جيوش احتلال كُردستان وتعاملهم مع الكُرد ومنهم مالك بن الأشتر الذي شارك باحتلال كردستان.

الجذور الفكرية لِمالك بن الأشتر النخعي وقربه مِنْ علي بن اب طالب يجعلنا أنْ نستنتج إنَّ تعامله كان مختلفاً عَنْ بقية القادة، فهو الذي أوصاه علي بن ابي طالب اثناء مسيره لولاية مصر، والذي لم يتولاها لأنه قتل بالسم على يد معاوية في العريش المصرية. (هذا ما أمر به عبد الله عليٌ أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر، في عهده إليه، حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها، أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا بإتباعها ن ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله تعالى بيده وقلبه ولسانه فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره، وإعزاز من اعزه. وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات، ويزرعها عند الجمحات، فإن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم الله).[1]

شخصية الأشتر الذي تولى الجزيرة في زمن علي بن ابي طالب كانت من الشخصيات الذي أدرك حقيقة الخِداع الاموي في صراعه مع علي، (قال الأشتر: ألرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم. فقال الأشتر: أما والله

(1) صبح الأعشى ـ القلقشندي ص1590

لقد ظننت أنها حين رفعت أنها ستوقع اختلافاً وفرقة، إنها مشورة عمرو بن العاص. ثم قال ليزيد: ألا ترى إلى الفتح؟ ألا ترى ما يلقون؟ ما ينبغي لنا أن ندع هذا وننصرف عنه. فقال يزيد: أتحب أنك ظفرت ها هنا وهو بمكانه الذي هو به ـ يعني علياً ـ يفرج عنه أو يسلم إلى عدوه؟ فقال الأشتر: سبحان الله، لا والله ما أحب ذلك. قال: فإنهم قد قالوا له: لترسلن إلى الأشتر فليأتينك أو لنقتلك كما قتلنا ابن عفان. فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم، وصاح بهم: يا أهل الذل والوهن، أحين علوتم القوم ظهراً وظنوا أنكم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها؟ وقد ـ والله ـ تركوا ما أمر الله فيها، وسنة من أنزلت عليه، فلا تجيبوهم وأمهلوني فواقاً، فإني قد أحسنت بالفتح. فقالوا: لا والله. فقال: أمهلوني عدوة الفرس فإني قد طمعت في النصر. قالوا: إذا ندخل معك في خطيئتك. قال: فحدثوني عنكم ـ وقد قتل أماثلكم ـ متى كنتم محقين؟ أحين كنتم تقاتلون وخياركم يقتلون، أم أنتم الآن إذ أمسكتم عن القتال مبطلون؟ أم أنتم الآن محقون؟ فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم، وكانوا خيراً منكم، في النار؟ فقالوا: دعنا منك يا أشتر، قاتلناهم في الله، وندع قتالهم لله. فقال: خدعتم ـ والله ـ فانخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم؛ يا أصحاب الجباه السود، كنا نظن أن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى الله! أفراراً من الموت إلى الدنيا؟ يا أشباه النيب الجلالة، ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون. فسبوه وسبهم، فصاح بهم علي، فكفوا، وقالوا له: إن علياً قد قبل الحكومة، ورضي بحكم القرآن. فقال الأشتر: قد رضينا بما رضي به أمير المؤمنين).[1]

(1) مختصر تاريخ دمشق ـ ابن منظور ص 3194

أبو موسى الأشعري

أبو موسى الأشعري، هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عنز بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر، وهو نبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. أما امه فهي ظبية بنت وهب من عك وقد كانت أسلمت وماتت بالمدينة. قدم أبو موسى الأشعري مكة فحالف سعيد بن العاص بن أمية وأسلم بمكة وهاجر الى أرض الحبشة.

عن ابن سعد (أخبرنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب الى أرض النجاشي فبلغ ذلك قريشا فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد وجمعوا للنجاشي هدية فقدمنا وقدموا على النجاشي قال أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا خالد بن إلياس عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم قال ليس أبو موسى من مهاجرة الحبشة وليس له حلف في قريش وقد كان أسلم بمكة قديما ثم رجع الى بلاد قومه فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين جعفر وأصحابه من أرض الحبشة).[1]

وصفه الرسول مع قومه برقة القلب (حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قال محمد بن عبد الله قلوبا وقال عبد الله بن بكر أفئدة فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى فلما دنوا من المدينة جعلوا يرتجزون

(1) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ص750

غـــدا نلقـــى الأحبـــة محمـــد وحـــزبـــه[1]

اشتهر أبو موسى الأشعري بِصوته العذب وكانَ مِنْ أحسنِ الصحابة صوتًا في قراءة القرآن، قال عنه الرسول (لقد أُعْطِيَ أبو موسى مزمارًا من مزامير آل داود. وفي الصحيح المرفوع: لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود وقال أبو عثمان النهدي: ما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا ناي أحسن من صوت أبي موسى بالقرآن وكان عمر إذا رآه قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى وفي رواية شوقنا إلى ربنا فيقرأ عنده).[2] ومن صفاته كان قصيراً، نحيفاً، خفيف اللحية، قال عنه الرسول: «سيد الفوارس أبو موسى».

جاء أبو موسى إلى مكة قبل ظهور الإسلام، واشتهر بينَ أهل مكة بالتجارة، ولما ظهر الإسلام، أسرع ليُعلِنْ إسلامه، ثم طلب مِن الرسول أن يرجع إلى قومه «بني أشعر» لِيدعُّوهم إلى الله، وينشر بينهم الإسلام، ويُعلمهم أمور الدين الحنيف، فأذن له الرسول، فذهبَ إلى قومه، وأخذ يدعوهم إلى الإسلام، فاستجاب له كثيرون، فهاجر بهم إلى الحبشة، وكان عددهم يزيد على الخمسين رجلاً، من بينهم شقيقاه، أبو رُهْم وأبو عامر، وأمه ظبية بنت وهب.

كتب ابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (حدثنا أحمد بن محمد حدثنا أحمد بن الفضل حدثنا محمد بن جرير حدثنا أبو بكر بن محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى قال خرجنا من اليمن في بضع وخمسين رجلاً من قومنا إما قال: اثنين وخمسين أو ثلاثة وخمسين ونحن ثلاثة إخوة: أبو موسى وأبو رهم وأبو بردة فأخرجتنا سفينتنا إلى النجاشي بأرض الحبشة وعنده جعفر بن أبي

(1) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ص750

(2) الإصابة في معرفة الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ص664

طالب وأصحابه فأقبلنا جميعاً في سفينتنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر وذكر تمام الخبر).[1]

وكتب ابن عبد البر عن الرسول: «نعم الحي الأزد والأشعريون لا يفرون في القتال ولا يغلون هم مني وأنا منهم».[2]

وقال مجاهد عن الشعبي: كتب عمر في وصيته: لا يقر لي عامل أكثر من سنة وأقروا الأشعري أربع سنين وكان حسن الصوت بالقرآن.[3]

بعد أنْ هاجر الرسول إلى المدينة، واستقر له الأمر فيها، هاجر المسلمون من الحبشة إلى المدينة، وكان أبو موسى الأشعري وقومه من هؤلاء المهاجرين، ولما دخل أبو موسى الأشعري وقومه المدينة قال لهم الرسول: لكم الهجرة مرتين؛ هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إليَّ.

استعمله الرسول على زُبيد وعَدَن، وغزا أبو موسى وقاتل مع الرسول ودعا له قائلاً: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريمًا.

كان أحد رجال العلم في زمانه (قال أبو البختري سألنا علياً عن أبي موسى قال صبغ في العلم صبغة ثم خرج منه قال أبو إسحاق سمعت الأسود يقول لم أر بالكوفة أعلم من علي وأبي موسى. وقال الشعبي كان العلم يؤخذ عن ستة عمر وعلي وأبي وابن مسعود وزيد وأبي موسى وقال أيضاً قضاة الأمة أربعة عمر وعلي وزيد وأبو موسى رضي الله عنهم).[4]

وقال صفوان بن سليم (لم يكن يفتي في زمن النبي صلى الله عليه

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر ص511
(2) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر ص 546
(3) الإصابة في معرفة الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ص664
(4) تذكرة الحفاظ ـ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ـ الذهبي ص10

وآله وسلم غير عمر وعلي ومعاذ وأبي موسى وقال النهدي: ما سمعت طنبوراً ولا صنجاً ولا مزماراً أحسن من صوت أبي موسى كان يصلي بنا فنود أنه قرأ البقرة وكان أبو موسى عابداً صواماً قواماً كبير القدر مات في ذي الحجة سنة أربع وأربعين على الصحيح رضي الله عنه).[1]

أما عمر بن الخطاب فقد ولاه إمارة البصرة، وظل واليًا على البصرة في خلافة عثمان بن عفان حتى طلب أهل الكوفة مِنْ عثمان أن يوليه عليهم، فوافق على ذلك، وأقرَّه أميرًا على الكوفة فأقام بها الى أنْ قُتِلَ عثمان فأقره علي.

موقفه من الخلاف بين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان حول الخلافة، وبالأخص أثناء معركة الجمل كان أهم مراحل حياة الاشعري وتقلبات زمانه، حيث أعتبر الأمر فتنة وطلبَ مِنْ الناس القعود (ثم كانت وقعة الجمل وارسل علي يدعو اهل الكوفة لينصروه، فامرهم ابو موسى بالقعود في الفتنة، فعزله علي، فأقام الى ان كان التحكيم وخدعه عمرو بن العاص، فارتد ابو موسى الى الكوفة).[2]

موقفه مِنْ حادثة قتل الخليفة الثالث «عثمان بن عفان» على يد الثوار كان بالضدِ مِنْ الثورة وتصحيح مسار الحكم الاسلامي، ففي الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (فأقبل الاشتر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس في المسجد الاعظم فجعل لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم ويقول اتبعوني إلى القصر فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس فاقتحم القصر فدخله وأبو موسى قائم في المسجد يخطب

(1) تذكرة الحفاظ ـ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ص10
(2) الأعلام ـ الزركلي ـ ص556

الناس ويثبطهم يقول أيها الناس إن هذه فتنة عمياء صماء تطأ خطامها النائم فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي والساعي فيها خير من الراكب إنها فتنة باقرة كداء البطن أتتكم من قبل مأمنكم تدع الحليم فيها حيران).[1]

وقع الأشعري في فَخ ودهاء بني أمية في حادثة التَّحكيم بين علي ومعاوية. كتب ابن كثير والطبري (كان عمرو لا يتقدم بين يدي أبي موسى بل يقدّمه في كل الأمور أدبا وإجلالا ـ فقال له: يا أبا موسى قم فأعلم الناس بما اتفقنا عليه.

فخطب أبو موسى الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على رسول الله صلى لله عليه وسلم، ثم قال: أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة، فلم نر أمرا أصلح لها ولا ألم لشعثها، من رأي اتفقت أنا وعمرو عليه، وهو أنا نخلع عليا ومعاوية ونترك الأمر شورى، وتستقبل الأمة هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه، وإني قد خلعت عليا ومعاوية.

ثم تنحى وجاء عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا قد قال ما سمعتم، وإنه قد خلع صاحبه، وإني قد خلعته كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان بن عفان، والطالب بدمه، وهو أحق الناس بمقامه ـ وكان عمرو بن العاص رأى أن ترك الناس بلا إمام والحالة هذه يؤدي إلى مفسدة طويلة عريضة أربى مما الناس فيه من الاختلاف، فأقر معاوية لما رأى ذلك من المصلحة، والاجتهاد يخطئ ويصيب.

ويقال: إن أبا موسى تكلم معه بكلام فيه غلظة ورد عليه عمرو بن العاص مثله.

(1) الطبقات الكبرى ـ محمد بن سعد ـ ج 4 ص 257

وذكر ابن جرير أن شريح بن هانئ ـ مقدم جيش علي ـ وثب على عمرو بن العاص فضربه بالسوط، وقام إليه ابنٌ لعمر فضربه بالسوط، وتفرق الناس في كل وجه إلى بلادهم، فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة).[1]

لقد دفعَ الأشعري ضريبة غَفلتِه التي أدت الى تغيير مسار الصراع بين علي ومعاوية لصالح الثاني (قال سعد بن أبي وقاص ويحك يا أبا موسى ما أضعفك عن عمرو ومكائده فقال أبو موسى فما أصنع جامعني على أمر ثم نزع عنه فقال بن عباس لا ذنب لك يا أبا موسى الذنب لغيرك للذي قدمك في هذا المقام فقال أبو موسى رحمك الله غدرني فما أصنع وقال أبو موسى لعمرو إنما مثلك كالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فقال له عمرو إنما مثلك مثل الحمار يحمل أسفارا فقال بن عمر إلى م صيرت هذه الامة إلى رجل لا يبالي ما صنع وآخر ضعيف وقال عبد الرحمن بن أبي بكر لو مات الاشعري من قبل هذا كان خيرا له[2]

غزا أبو موسى بالبصريين فافتتَّح الأهواز وأصبهان، كما فتح الرها وسميساط وتوفي سنة اثنين وخمسين، وقيل اثنين وأربعين، وقيل أربع وأربعين، ودفن بمكة، وقيل دفن بالثوية على ميلين من الكوفة.

عتبة بن فرقد

هو أبو عبد الله عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة بن ربيعة بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم السلمي.

(1) (البداية والنهاية ـ الجزء السابع ـ ابن كثير) و(تاريخ الطبري ـ الطبري ج 4 ص 51) و(ابن كثير ج 7 ص 314)

(2) تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر ج 46 ص 172

قال الكلبي: «اسم فرقد «يربوع»، أُمه بنت عَبَّاد بن علقمة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، وقال ابن منده: عتبة بن فرقد السلمي، من بني مازن. أسلم قبل غزوة خيبر، وشهد هذه الغزوة مع الرسول وقسم له من الغنائم، كما ورد في أسد الغابة لابن الأثير «كان عتبة بن فرقد شهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فقسم له، فأصابه منها سهم، فجعلها لبني عمه عاماً، ولأخواله عاماً. فكان بنو سليم يجيئون عاماً فيأخذونه، وكان بنو فلان ـ يعني أخواله ـ يجيئون عاماً فيأخذونه، قال هشيم: كان حصين بينه وبينه قرابة ـ يعني عتبة ـ وكان أميراً لعمر بن الخطاب على بعض فتوح العراق».[1]

كانت غزوة خيبر في سنة سبع للهجرة، مما يدل على أنه أسلم في هذه السنة أو قبله بقليل. وقد غزا مع الرسول غزوتين فقط، وشارك في قتال أهل الردة وتفرغ بعدها للفتوحات الإسلامية.

تسلمَ منصب إمارة الموصل على الحرب والخراج سنة سبع عشرة خلفاً لعرفجة بن هرثمة البارقي الذي أمد به عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان ولما أستقر عتبة بالموصل، شرع في فتح مناطقها المجاورة ففتح شرقي دجلة من شمال الموصل حتى الحدود العراقية ـ التركية ـ الإيرانية وهي أقضية زاخو والعمادية ودهوك وعقرة من لواء الموصل بالإضافة أربيل والسليمانية، كما فتح معظم أذربيجان الواقعة في إيران والمتاخمة للحدود العراقية ـ التركية ـ الروسية وامتد فتح عتبة حتى مدينة (أرمية) الواقعة بالقرب من بحيرة (أرمية).

هناك اختلاف في عدد زوجاته إنْ كُنَّ 3 أو 4 عن العسقلاني (أبو نعيم في المعرفة عن أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد السلمي رضي الله

(1) أسد الغابة ـ ابن الأثير ص742

تعالى عنه قالت: كنا عند عتبة بن فرقد أربع نسوة فكانت كل امرأة منا تجتهد في الطيب لتكون أطيب ريحا من صاحبتها).[1]

وفي الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبن عبد البر (حدثنا سعيد بن نصر قال: حدثنا ابن أبي دليم حدثنا ابن وضاح حدثنا علي بن عاصم حدثنا حصين بن عبد الرحمن قال حدثتني أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد قالت: كنا عند عتبة بن فرقد ثلاث نسوة ما منا واحدة إلا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب ريحاً من صاحبتها[2]

وعَنْ أبو الحسن نور الدين عن الشعبي (أن عتبة بن فرقد إبتاع أرضا بشط الفرات فاتخذ بها قصبا فلما أتى عمر ذكر أنه ابتاع أرضا فقال له ممن ابتعت الارض قال من أربابها فلما كان العشى اجتمع أصحابه فدعاه فقال ممن ابتعت الارض قال من أربابها فقال هل بعتموه شيئا قال لا قال فان هؤلاء أربابها فرد الارض إلى من اشتريت واقبض الثمن. رواه الطبراني في الكبير وفيه بكير بن عامر البجلي).[3]

الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي

هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي بن أبي عمرو بن عبد مناف القرشي الأموي ويكنى أبا وهب، أسلمَ الوليد يوم فتح مكة. كان ولده عقبة بن أبي معيط أشد الناس على الرسول في ايذائه من جيرانه، (فعن ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنت بين شر جارين:

(1) الاماني المطلقة ـ العسقلاني ص 6

(2) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر ص316

(3) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي مجلد 4 ص112

بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط، إن كانا ليأتيان بالفروث فيطرحونها في بابي. قالت عائشة: فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يا بني عبد مناف، أي جوار هذا؟ ثم يميطه عن بابه. قالوا: وبعث أبو لهب ابنه عتبة بن أبي لهب بشيء يؤذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمعه يقرأ: «والنجم إذا هوى ». فقال: أنا أكفر برب النجم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سلط الله عليك كلباً من كلابه).[1]

الوليد بن عقبة هو شقيق عثمان بن عفان مِنْ أمه أروى التي أنجبت مرتين من عفان هم عثمان وأخته أمنة. بعد وفاة عفان، تزوجت أروى من عقبة بن ابي معيط، وأنجبت منه ثلاثة أبناء وبنت:الوليد بن عقبة. خالد بن عقبة. عمرو بن عقبة.أم كلثوم بنت عقبة.

لما تولَّى شقيقه عثمان بن عفان أمر بعزل سعد بن أبي وقَّاص ونَصَبَ الوليد بن عقبة مكانه والياً على الكوفة سنة خمس وعشرين للهجرة ضمن السياسة التي اتخذها عثمان أيام حكومته مِنْ تقريب بني أمية وإطلاق أيديهم في التصَرُّف في بيت المال وعدم مؤاخذتهم بل التستر على أعمالهم والإغماض عن ما يرتكبونه من فسق وفجور.

فالوليد اشتهر بالزنا وشرب الخمرة فترة ولايته للكوفة (الوليد كان زانياً يشرب الخمر، فشرب بالكوفة وقام يصلي بهم الصبح في المسجد الجامع، فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم؟ وتقيأ في المحراب بعد أن قرأ بهم رافعاً صوته في الصلاة:

علــقَ القلــبُ الربابــا بعــد مــا شــابت وشــابا).[2]

(1) أنساب الأشراف ـ البلاذري ـ (1/59)
(2) شرح نهج البلاغة 230 :17

وفي الوليد يقول الحطيئة جرول بن أوس بن مالك العبسي:

شـهد الحطيئـة يـوم يلقـى ربـه إن الوليـد أحـق بالعـذر.

وذكر أبو الفرج في «الأغاني «وأبو عمر في «الاستيعاب «بعد هذه الأبيات لحطيئة أيضا قوله:

تكلـم فـي الصـلاة وزاد فيهـا علانيـة وجاهـر بالنفـاق

ومـج الخمـر فـي سـنن المصلـي ونـادى والجميـع إلـى افتـراق

أزيدكـم؟ علـى أن تحمدونـي فمالكـم ومـا لـي مـن خـلاق

إدمانه الكحول والجهر به وتجاوز المُحرم الديني جزء من سيرته الشخصية وهذا ما نجده في اكثر من مصدر تاريخي، (قَالَ الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: كُنَّا فِي جَيْشٍ بِالرُّومِ، وَمَعَنَا حُذَيْفَةُ، وَعَلَيْنَا الْوَلِيدُ، فَشَرِبَ الْخَمْرَ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَحِدَّهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَتَحِدُّونَ أَمِيرَكُمْ وَقَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، فَبَلَغَهُ فَقَالَ:أَشْرَبَنَّ وَإِنْ كَانَتْ مُحَرَّمَةً... وَأَشْرَبَنَّ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ مَنْ رغما).[1]

ويذكر الطبري في تاريخه تفاصيل قصة صلاته وهو سكران (وقال سعيد بن أبي عَرُوبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الدَّانَاجِ، عَنْ أَبِي ساسان حضين بْنِ الْمُنْذِرِ قَالَ: صَلَّى الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بِالنَّاسِ الْفَجْرَ أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ وَهُوَ سَكْرَانُ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: أَزِيدُكُمْ. فَرَكِبَ نَاسٌ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى عُثْمَانَ فَكَلَّمَهُ عَلِيٌّ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: دُونَك ابْنُ عَمِّكَ فَخُذْهُ. قال: قم يا حسن فاجلده. قَالَ: فِيمَ أَنْتَ وَهَذَا؟ قَالَ: بَلْ ضَعُفْتَ وَوَهَنْتَ، قُمْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ فَاجْلِدْهُ، فَقَامَ فَجَلَدَهُ عَلِيٌّ يَعُدُّ حَتَّى بَلَغَ أربعين. رواه مُسْلِمٌ).[2]

(1) الذهبي ـ تاريخ الإسلام ج2 ـ ص380

(2) تاريخ الطبري ـ ج 5 ص 134. و1 ـ أُسد الغابة 675 :4

هناك اتفاق بان (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) [السجدة: 18].
قد نزلت في الوليد بن عقبة، فَعنْ الذهبي في «سير أعلام النبلاء»، (عن ابن عباس، قال: قال الوليد بن عقبة لعلي: أنا أَحَدُّ منك سناناً، وأبسط لسانا، وأملأ للكتيبة. فقال علي: اسكت، فإنما أنت فاسق، فنزلت ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا﴾ [السجدة: 18].[1]

وفي رواية اخرى فان (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) قد نزلت في الوليد وان اسباب نزوله هو ما جرى من حادثة بني المصطلق (ولا خلاف بين أهل العلم بالتأويل!ن قوله عزوجل (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ) نزلت في الوليد بن عقبة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه مصدقا إلى بني المصطلق فلما وصل إليهم هابهم فانصرف عنهم وأخبر أنهم ارتدوا فبعث إليهم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت فيهم فاخبروا انهم متمسكون بالاسلام. قال وله أخبار فيها نكارة وشناعة وكان من رجال قريش ظرفا وحلما وشجاعة وأدبا وكان شاعرا شريفا. قال وخبر صلاته بهم وهو سكران وقوله أزيدكم بعد أن صلى الصبح أربعا مشهور من حديث الثقات).[2]

أنَّ قرابته من عثمان بن عفان والحديث الذي جرى بينه مع علي بن ابي طالب حينما واجهه ووصفه بالفاسق جعلَ الوليد معادياً لعلي بن ابي طالب في صراعه مع معاوية كما يروي ابن حجر العسقلاني (صلى الوليد بن عقبة أربعا وهو سكران، ثم انفتل فقال: أزيدكم؟ فرفع ذلك إلى عثمان، فقال له علي: اضربه الحد، فأمر بضربه. فقال علي للحسن: قم فاضربه. قال: فما أنت وذاك؟ قال: إنك ضعفت، ووهنت، وعجزت.

(1) الذهبي في سير أعلام النبلاء 2/415
(2) تهذيب التهذيب ـ ابن حجر العسقلاني ـ (126 / 11)

قم يا عبد الله بن جعفر، فقام عبد الله بن جعفر فجعل يضربه، وعلي يعد حتى إذا بلغ أربعين).[1]

يرسم البلاذري في كتابه «الأنساب» صورة متكاملة عن شخصيته، (قال أبو إسحاق: وأخبرني مسروق إنه حين صلى لم يرم حتى قاء، فخرج في أمره إلى عثمان أربعة نفر: أبو زينب. وجندب بن زهير. وأبو حبيبة الغفاري. والصعب بن جثامة. فأخبروا عثمان خبره فقال عبد الرحمن بن عوف، ما له؟ أجن؟ قالوا: لا، ولكنه سكر. قال: فأوعدهم عثمان وتهددهم، وقال لجندب: أنت رأيت أخي يشرب الخمر؟ قال: معاذ الله، ولكني أشهد إني رأيته سكران يقسلها من جوفه، وإني أخذت خاتمه من يده وهو سكران لا يعقل.

قال أبو إسحاق: فأتى الشهود عائشة فأخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان، وإن عثمان زبرهم، فنادت عائشة: إن عثمان أبطل الحدود وتوعد الشهود.

وقال الواقدي: وقد يقال: إن عثمان ضرب بعض الشهود أسواطا، فأتوا عليا فشكوا ذلك إليه. فأتى عثمان فقال: عطلت الحدود وضربت قوما شهدوا على أخيك فقلبت الحكم، وقد قال عمر: لا تحمل بني أمية وآل أبي معيط خاصة على رقاب الناس قال: فما ترى؟ قال: أرى أن تعزله ولا توليه شيئا من أمور المسلمين، وأن تسأل عن الشهود فإن لم يكونوا أهل ظنة ولا عداوة أقمت على صاحبك الحد.

قال: ويقال: إن عائشة أغلظت لعثمان وأغلظ لها وقال: وما أنت

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ـ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (4/ 359)

وهذا؟ إنما أمرت أن تقري في بيتك. فقال قوم مثل قوله: وقال آخرون: ومن أولى بذلك).[1]

ما ذكره البلاذري يؤكده ابن الأثير حيث كتب (قَالَ أبو عمر: والصحيح عند أهل الحديث أَنَّهُ شرب الخمر، وتقيأها، وصلى الصبح أربعا ولما قتل عثمان رضي الله عَنْهُ، اعتزل الفتنة، وقيل: شهد صفين مع معاوية، وقيل: لَمْ يشهدها، ولكنه كَانَ يحرض معاوية بكتبه وشعره، وقد استقصينا ذَلِكَ فِي الكامل فِي التاريخ)[2]

السيرة الحلبية لنور الدين الحلبي يكشف جوهر مَنْ ساهمَ وشارك وقادَ عمليات احتلال كُردستان ومنهم الوليد بن عقبة (قال ابن عبد البر رحمه الله لاخلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله إن جاءكم فاسق بنبأ نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق لأخذ صدقاتهم أي ونزل فيه وفي علي بن ابي طالب كرم الله وجهه أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون أي فكان يدعى الفاسق وبعثه لأخذ صدقات بني المصطلق يرد قول من قال أنه ممن أسلم يوم الفتح وكان قد ناهز الحلم أي ويرد ما روى بعضهم أنه قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل أهل مكة يأتونه بصيانهم فيمسح على رءوسهم ويدعو لهم بالبركة فأتى بي إليه وأنا مضخ بالخلوق فلم يمسح على رأسي ولم يمنعه من ذلك إلا وجو الخلوق ويرد ذلك ايضا ما سيأتي أنه خرج هو واخوه عمارة ليردا أختها أم كلثوم عن الهجرة وكانت هجرتها في الهدنة هدنة الحديبية والوليد هذا كان أخا عثمان بن عفان لأمه ووالاه الكوفة أي وعزل عنها سعد بن أبي

(1) البلاذري ـ الأنساب 33 :5

(2) اسد الغابة في معرفة الصحابة ـ ابن الأثير ـ 420 /5

وقاص فلما قدم الوليد الكوفة على سعد رضي الله عنه قال له والله ما أدري أصرت كيسا بعدنا أم حمقنا بعدك فقال له لا تجزعن أبا اسحاق وإنما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد أراكم يعني أبا أمية ستجعلونها والله يعني الخلافة ملكا ملكا وعند ذلك قال الناس بئس ما فعل عثمان رضي الله عنه عزل سعدا الهين اللين الورع المستجاب الدعوة وولى أخاه الخائن الفاسق كما تقدم ولق الوليد ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فقال له ما جاء بك فقال جئت أمير فقال له ابن مسعود ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس وكان الوليد شاعرا ظريفا حليما شجاعا كريما شرب الخمر ليلة من أول الليل إلى الفجر فلما أذن المؤذن لصلاة الفجر خرج إلى المسجد وصلى باهل الكوفة الصبح اربع ركعات وصار يقول في ركوعه وسجوده اشرب واسقني ثم قال في المحراب ثم سلم وقال هل ازيدكم فقال له ابن مسعود لرضي الله عنه لا زادك الله خيرا ولا من بعثك إلينا وأخذ فرده خفه وضربه وجه الوليد وحصبه الناس فدخل القصر والحصباء تأخذه وهو مترنح وإلى ذلك يشير الحطيئة بقوله:

شهد الحطيئة يوم لقى ربه أن الوليج أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم أأزيدكم سكرا وما يدرى).[1]

جرير بن عبد الله البجلي

هو ابن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن خزيمة بن حرب بن علي بن مالك بن سعيد بن مالك بن نذير بن قسر، وهو مالك بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث ابن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أبو عمرو وقيل أبو عبد الله

(1) السيرة الحلبية ـ نور الدين الحلبي ص642

البجلي القسري. ولقبه ذو المخصرة. والبجلي نسبة إلى قبيلة بجيلة، و(قيل إن بجيلة اسم أمهم وهي من سعد العشيرة وأختها باهلة ولدتا قبيلتين عظيمتين، نزلت بالكوفة منهم أبو عمرو جرير بن عبد الله البجلي ـ وقد قيل كنيته أبو عبد الله).[1]

عَنْ إسلامه كتبَ ابن سعد (قال أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي قال حدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال قدم جرير بن عبد الله البجلي سنة عشر المدينة ومعه من قومه مائة وخمسون رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن على وجهه مسحة ملك فطلع جرير على راحلته ومعه قومه فأسلموا وبايعوا).[2]

لأنه كان مِنْ سادة قومه قبل إسلامه، بقيَّ مُحتَّفظاً بمركزة بعد دخولهِ الإسلام (ثلاثة رجال سادوا في الجاهلية والإسلام، أحدهم سراقة بن مالك بن جشم المدلجي، والآخر الجارود بن المعلى العبدي، والثالث جرير بن عبد الله البجلي).[3]

أعتبر الرسول دخول جرير الإسلام نصراً كبيراً للدين الجديد. يَصِفْ السمعاني تفاصيل دخوله الإسلام (وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنا من المدينة أناخ راحلته وحل عيبته وليس حلته فأقبل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد قال لهم: يطلع عليكم رجل من اليمن به مسحة ملك، وألقى له رداءه وقال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، ما حجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم ولا رآه إلا تبسم في وجهه).[4]

(1) الأنساب ـ السمعاني ص163
(2) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ ص157
(3) البرصان والعرجان ـ الجاحظ ص 16
(4) الأنساب السمعاني ـ ص163 وإحياء علوم الدين ـ أبو حامد الغزالي ـ ص544

دخوله الإسلام كان في شهر رمضان، فكلفه الرسول بهدم ذي الخلصة (قدم جرير بن عبد الله البجلي في رمضان مسلماً، فبعثه إلى ذي الخلصة فهدمها، وكان من حجر أبيض بتبالة، وهو صنم بجيلة وخثعم وأزد السراة، فلما أتى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خبر هدمه سجد شكراً لله تعالى).[1]

شارك جرير بفتوحات عدة أبرزها كُردستان واذربيجان (ثم تولى سعيد بن العاص فغزا أهل أذربيجان فأوقع بأهل موقان وجيلان، وتجمع له بناحية أرم وبلوانكرح خلق من الأرمن وأهل أذربيجان، فوجه إليهم جرير بن عبد الله البجلي فهزمهم، وأخذ رئيسهم فصلبه على قلعة باجروان).[2]

تَعج المصادر العربية بوصفِ جرير فكتب القلقشندي (جرير بن عبد الله البجلي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان جميلاً فائق الجمال، حتى إنه كان يقال له يوسف الأمة، وفيه يقول بعض الشعراء يمدحه:

لـولا جـرير هـلـكـت بـجـيلة نعـم الفتـى وبئسـت القبيلـة).[3]

ويصفه عمر بن خطاب (وكان عمر يقول: جرير يوسف هذه الأمة لحسنه. وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «على وجهه مسحة ملك»، وكان طويلاً يقل في ذروة البعير من طوله وكانت نعله ذراعاً ويخضب لحيته بزعفران من الليل ويغسلها إذا أصبح فتخرج مثل لون التبر، واعتزل علياً ومعاوية وأقام بالجزيرة ونواحيها حتى توفي بالشراة سنة أربع وخمسين في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة، وكان لجرير ابنان يروي

(1) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ص351
(2) فتوح البلدان ـ البلاذري ص 132
(3) صبح الأعشى ـ القلقشندي ـ ص 138

عنهما إبراهيم وأبان جرير وعمر إبراهيم حتى لقيه شريك وأبو زرعة بن عمرو بن جرير البجلي، روى عن جده وعن أبي هريرة وله ابن يقال له عمرو ولا يروى عنه).[1]

واشتهر جرير بطوله (من كان في غاية الطول، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كأنه راكب والناس يمشون لطوله، وكان عدي بن حاتم إذا ركب تكاد رجلاه تخط في الأرض، وكذلك جرير بن عبد الله البجلي، وكان قس بن ساعدة في نهاية الطول والجسامة، وكان عبد الله بن عباس في غاية من الطول، وكان أبوه عبد الله أطول منه، وجده العباس أطول من أبيه؛ ويقال إن جبلة بن الأيهم الغساني كان طوله اثني عشر شبرا).[2]

فَقدَ جرير عينَهُ بعد إصابته بسهم كما يشير القلقشندي (من أصيبت عينه، أبو سفيان بن حرب، ذهبت عينه يوم الطائف ثم عمي بعد ذلك. الأشعث بن قيس، ذهبت عينه يوم اليرموك، المغيرة بن شعبة كذلك الأشتر النخعي، جرير بن عبد الله البجلي).[3]

إصابته في عينه كانت في هندان (قالوا: وجه المغيرة بن شعبة، وهو عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة، بعد عزل عمار بن ياسر، جرير بن عبد الله البجلي إلى همذان وذلك في سنة ثلاث وعشرين، فقاتله أهلها ودفع دونها فأصيبت عينه بسهم فقال: احتسبتها عند الله الذي زين بها وجهي ونور لي ما شاء ثم سلبنيها في سبيله).[4]

كان جرير شاعراً ومِنْ شعره

(1) المعارف ـ ابن قتيبة الدينوري ص 66
(2) صبح الأعشى ـ القلقشندي ص182
(3) صبح الأعشى ـ القلقشندي ص183
(4) فتوح البلدان ـ البلاذري ص 124

يا أقــرع بــن حـــابس يا أقــرع إنّــك إن يصــرع أخــوك تصــرع[1]

و

أنـا جـرير كـنـيتي أبـــو عـــمـــرو قـد نصـر اللـه وسـعد فـي القصـر
نقاتــل حـتـى أنــزل الـلــه نـصره وســعد ببــاب القادســية معصــم
فأبنـا وقــد آمـت نســاء كـثـــيرة ونســوة سـعد ليس فــيهن أيـم[2]

وكتب بهذا الشعر إلى شرحبيل بن السمط الكندي، رئيس اليمانية من أصحاب معاوية:

نصحتـك يابـن السـمط لا تتبـع الـهـوى فمالـك فـي الدنيـا مـن الديـن مـن بـدل
ولا تـك كالمجــرى إلــى شـر غايـةٍ فقـد خـرق السـربال واسـتنوق الجمــل
مقـال ابـن هنـد فـي علـي عضيهـة ولله فـي صـدر ابـن أبـي طالـبٍ أجـل
ومـــا كان إلا لازمـــاً قعـــر بـــيته إلـى أن أتـى عثمـان فـي بيتـه الأجـل
وصـي رسـول اللـه مـن دون أهلـه وفارسـه الحامـي بـه يضـرب المثـل[3]

هناك قضية لها أهمية يجب الإشارة اليها وهي عِلاقة جرير بعلي بن ابي طالب، المصادر تُشير الى إنَّ علي بن ابي طالب كتبَ له حينما كان عاملاً لعثمان بن عفان في أرض الجبل (وكتب علي إلى جرير بن عبد الله البجلي، وكان عامل عثمان بأرض الجبل مع زحر بن قيس الجعفي، يدعوه إلى البيعة له، فبايع وأخذ بيعة من قبله، وسار حتى قدم الكوفة).[4]

حينما احتَّدمَ الصراع بين علي ومعاوية أرسله علي مُمثلاً عنه

(1) سيبويه ـ ص190
(2) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص793
(3) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ص33
(4) الأخبار الطوال ـ أبو حنيفة الدينوري ص61

للتحكيم رغم اعتراض الأشتر له (لما عاد علي من البصرة بعد فراغه من الجمل قصد الكوفة وأرسل إلى جرير ابن عبد الله البجلي، وكان عاملاً على همذان استعمله عثمان، وإلى الأشعث ابن قيس، وكان على أذربيجان استعمله عثمان أيضاً، يأمرهما بأخذ البيعة والحضور عنده، فلما حضرا عنده أراد علي أن يرسل رسولاً إلى معاوية، قال جرير: أرسلني إليه فإنه لي ود. فقال الأشتر: لا تفعل فإن هواه مع معاوية. فقال علي: دعه حتى ننظر ما الذي يرجع إلينا به. فبعثه وكتب معه كتاباً إلى معاوية يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وحربه إياهما ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته).[1]

الاجواء كانت مساعدة لاتهام جرير بمساومته السياسية مع معاوية. نِقاشه الحاد مع الأشتر فَجرَ الخِلاف بينهما وكَشفَ الكثير مِنَ الحقائق (لما رجع جرير إلى علي عليه السلام، كثر قول الناس في التهمة لجرير في أمر معاوية، فاجتمع جرير والأشتر عند علي عليه السلام، فقال الأشتر: أما والله يا أمير المؤمنين، أن لو كنت أرسلتني إلى معاوية، لكنت خيراً لك من هذا الذي أرخى خناقه، وأقام عنده، حتى لم يدع باباً يرجو فتحه إلا فتحه، ولا باباً يخاف أمره إلا سده.

فقال جرير: لو كنت والله أتيتهم لقتلوك ـ وخوفه بعمرو، وذي الكلاع، وحوشب ـ وقال: إنهم يزعمون أنك من قتلة عثمان.

فقال الأشتر: والله لو أتيتهم يا جرير لم يعيني جوابها، ولم يثقل علي محملها، ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر).[2]

تبلغ حِدة الحِوار بين جرير والأشتر لِتصل الى الشتيمةِ والاتهام

(1) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ص557

(2) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ص261

بالخيانة (اجتمع جرير والأشتر عند علي عليه السلام، فقال الأشتر: أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً، وأخبرتك بعداوته وغشه! وأقبل الأشتر يشتمه، ويقول: يا أخا بجيلة، إن عثمان اشترى منك دينك بهمدان، والله ما أنت بأهلٍ أن تترك تمشي فوق الأرض، إنما أتيتهم لتتخذ عندهم يداً بمسيرك إليهم، ثم رجعت إلينا من عندهم، تهددنا بهم، وأنت والله منهم، ولا أرى سعيك إلا لهم؛ لئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليحبسنك وأشباهك في حبس لا تخرجون منه حتى تستتم هذه الأمور، ويهلك الله الظالمين.

قال جرير: وددت والله أن لو كنت مكاني بعثت، إذن والله لم ترجع.

قال: فلما سمع جرير مثل ذلك من قوله، فارق علياً عليه السلام، فلحق بقرقيسياء ولحق به ناس من قسر من قومه فلم يشهد صفين من قسر غير تسعة عشر رجلاً؛ ولكن شهدها من أحمس سبعمائة رجل).[1]

وقال الأشتر فيما كان من تخويف جرير إياه بعمرو وحوشب وذي الكلاع:

لعمرك يا جرير لقول عمرو وصاحبه معاوي بالشآم
وذي كلعٍ وحوشب ذي ظليمٍ أخف علي من ريش النعام
إذا اجتمعوا علي فخل عنهم وعن بازٍ مخالبه دوامي
ولست بخائفٍ ما خوفوني وكيف أخاف أحلام النيام
وهمهم الذي حاموا عليه من الدنيا، وهمي ما أمامي[2]

(1) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ص261
(2) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ص261

المصادر الإسلامية تتَّحدثْ كثيراً عَنْ نبوءات الرسول وقد شملَ نبوءاته جريراً وتوقع خروجه عن علي ومن ثم الدين (وروى الحارث بن حصين، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع إلى جرير بن عبد الله نعلين من نعاله، وقال: احتفظ بهما، فإن ذهابهما ذهاب دينك، فلما كان يوم الجمل ذهبت إحداهما، فلما أرسله علي عليه السلام إلى معاوية ذهبت الأخرى؛ ثم فارق علياً واعتزل الحرب).[1]

إنَّ موقف جرير المُتَّقلبْ أو خداعه مِنْ قِبلْ عمر بن العاص في واقعة التَّحكيمْ بقيَّ مؤثراً في علي بن ابي طالب لِدرجة انه كتبَ فيه وقبل وفاته (وأما هذا الأكثف عند الجاهلية ـ يعني جرير بن عبد الله البجلي ـ فهو يرى كل أحد دونه، ويستصغر كل أحد ويحتقره، قد ملىء ناراً، وهو مع ذلك يطلب رئاسة، ويروم إمارة، وهذا الأعور يغويه ويطغيه، إن حدثه كذبه، وإن قام دونه نكص عنه، فهما كالشيطان إذ قال للإنسان: اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين).[2]

النُعمان بن مقرن المزني

هو النعمان بن عمرو بن مقرن بن عائذ بن ميجا بن هجير بن نصر بن حبشية بن كعب بن عبد بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن مزينة ويكنى أبا عمرو وأول مشاهده الخندق ونزل الكوفة وأستعمله عمر بن الخطاب على كسكر ثم عزله فوجهه على الناس يوم نهاوند وكان أول قتيل فيها.

عَنْ إسلامه يذكر ابن الاثير (قال لقومه مرة يا قوم واللّهِ ما عَلِمْنا عن

(1) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ص 368
(2) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ص 2166

محمدٍ إلاَّ خيراً، ولا سَمِعْنَا من دَعْوَتِهِ إلاَّ مَرْحَمَةً وإحْساناً وعَدْلاً، فما بالُنا نُبْطِئُ عنه، والناسُ إليه يُسْرِعون؟! ثم أتبعَ يقول: أما أنا فقد عَزَمْتُ على أن أغدُوَ عليه إذا أصْبَحْتُ، فمَنْ شاءَ منكم أنْ يكونَ مَعي فَلْيَتَجَهَّزْ. قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه ومعه الهدايا معلناً إسلامهم جميعاً ففرحت المدينة أشد الفرح بهذا الخبر إذ لم يسبِق لِبيت مِن بيوت العربِ أن أسلم منه أحد عَشَرَ أخاً من أبٍ واحد ومعهم أربع مائة فارِس).[1]

وروى عبد الله بن مسعود عَنْ الرسول قال فيهم: ان للإيمان بيوتا وللنفاق بيوتا، وان بيت بني مقرن من بيوت الايمان، ونزل فيهم : ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الاَخِر، وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللّهِ، وَصَلَوات الرَّسُولِ، ألاَ إِنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ في رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحيمٌ﴾.

قيادته للجيشِ كانت بمشورةِ مُقدمة للخليفة عمر بن خطاب، يذكر ابن الأثير (قال عمر: أشيروا علي برجل أوليه ذلك الثغر وليكن عراقياً، قالوا: أنت أعلم بجندك وقد وفدوا عليك ورأيتهم وكلمتهم. فقال: والله لأولين أمرهم رجلاً يكون أول الأسنة إذا لقيها غداً. فقيل: من هو؟ فقال: هو النعمان بن مقرن المزني. فقالوا: هو لها).[2]

كتبَ عمر بن خطاب للنُعمان كتاباً للمسير الى أهل البصرة، في الوقتِ الذي كتبَ إلى حذيفة بن اليمان أنْ يسير نحو أهل الكوفة ليجتمعوا في نهاوند تحتَ إمرة النّعمان بن مقرّن المزنيّ.

اجتَّمعَ قادة الجيش في نهاوند، وجرى حوار بين المغيرة بن شعبة

(1) ابن الأثير 211 /2 و7 /3

(2) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ص 454

والقائد الفارسي الذي بدأ حديثه للمغيرة (إنكم معشر العرب أبعد الناس قذراً، وأبعده داراً؛ وما منعني أن آمر هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنشّاب إلاّ تنجّساً لجيفكم؛ فإنكم أرجاس؛ فإن تذهبوا نخلّ عنكم، وإن تأتوا نركم مصارعكم).[1] ليجيبه المغيرة (والله ما أخطأت من صفتنا شيئاً، ولا من نعتنا، إن كنا لأبعد الناس داراً، وأشدّ الناس جوعاً، وأشقى الناس شقاء، وأبعد الناس من كلّ خير، حتى بعث الله عزّ وجلّ إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فوعدنا النصر في الدّنيا، والجنة في الآخرة؛ فوالله ما زلنا نتعرّف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتح والنصر؛ حتى أتيناكم؛ وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبكم على ما في أيديكم؛ أو نقتل بأرضكم).[2]

أثناء فتح نهاوند سنة إحدى وعشرون، وفي معكرتها قُتِلَ النعمان بن مقرن. في تلك المعركة وكما تذكر المصادر العربية فان جواد النعمانِ بنِ مُقَرن قد زَلِقَ وأصيبَ بعدها إصابةً قاتِلَةً، فأخذَ أخوهُ اللواءَ من يَدِهِ، وسَجَّاهُ بِبُردةٍ كانت معه وكَتَمَ أمْرَ مَصْرَعِهِ عن المسلمين.

ولما انتهت المعركة لصالحِ المُسلمين سَألَ الجنودُ المُنْتَصِرون عن قائِدِهم النعمانِ بنِ مقرِّن فرَفَعَ أخوهُ البُرْدَةَ عنه وقال: هذا أميرُكُم، قد أقرَّ اللّهُ عَيْنَهُ بالفَتْح، وخَتَم له بالشهادة.

يذكُر ابن سعد إنَّ النعمان كان أول قتيل في معركة نهاوند، ونعاه عمر بن خطاب مِنْ على المنبر (أول قتيل قتل النعمان بن مقرن قال محمد بن عمر وكانت نهاوند سنة إحدى وعشرين قال أخبرنا سليمان أبو داود

(1) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص 867
(2) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص 867

الطيالسي قال أخبرنا شعبة قال أخبرني إياس بن معاوية قال قال لي سعيد بن المسيب ممن أنت قلت رجل من مزينة فقال سعيد بن المسيب إني لأذكر يوم نعى عمر بن الخطاب النعمان بن مقرن على المنبر وأخوه).[1]

توفي النُعمان في أصبهان وقَبره ما زال شاخصاً في موضع يُقال له أسفيذبان، وهي قرية من قرى أصبهان، فعن ياقوت الحموي (وكان النعمان من رؤساء مزينة، قدم على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على رأس أربعمائة فارس من مزينة، وكان صاحب لواء مزينة في غزوة فتح مكة، وكان موضع ثقة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حياته، وموضع ثقة خلفائه من بعده حتى استشهد في نهاوند سنة إحدى وعشرين للهجرة (652م)، وقبره هناك بموضع يقال له (أسفيذبان، وهي قرية من قرى أصبهان). [2]

قصة الحوار بينَ النعمان مع يزدجرد مشهورة حيث أجابه نقلا عن ابن الأثير (فأذن لهم وأحضر الترجمان وقال له: سلهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا؟ أمن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟ فقال النعمان بن مقرن لأصحابه: إن شئتم تكلمت عنكم، ومن شاء آثرته. فقالوا: بل تكلم. فقال: (إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة، فلم يدع قبيلة غلا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب، فبدأ بهم، فدخلوا معه على وجهين: مكره عليه فاغتبط، وطائع فازداد، فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى

(1) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ص 1089

(2) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي 1/231

الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله، فإن أبيتم فأمرٌ من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزية، فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن بذلتم الجزاء قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم)

فتكلم يزدجرد فقال: (إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بينٍ منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوننا أمركم لا تغزوكم فارس، ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس، فإن كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا، وإن كان لجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم.

فأسكت القوم، فقام المغيرة بن زرارة فقال. أيها الملك إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم وهم أشراف يستحيون من الأشراف، وإنما يكرم الأشراف ويعظم حقهم الأشراف، وليس كل ما أرسلوا به قالوه، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه، فجاوبني لأكون الذي أبلغك وهم يشهدون على ذلك لي؛ فأما ما ذكرت من سوء الحال فهي على ما وصفت وأشد؛ ثم ذكر من سوء عيش العرب وإرسال الله النبي، صلى الله عليه وسلم، إليهم نحو قول النعمان وقتال من خالفهم أو الجزية، ثم قال له: اختر إن شئت الجزية عن يدٍ وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف أو تسلم فتنجي نفسك).[1]

أما الطبري فانه يَرسم صورة واضحة لطرفي الصراع، همجية بدوية بغرضِ النَهب كان فيه المغيرة بن شعبة مُتَّحدِثاً مُقابل حضارة تَجلتْ شوفينيتها بِجواب الهرمزان (إنكم معشر العرب أبعد الناس قذراً، وأبعده داراً؛

(1) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ص410

وما منعني أن آمر هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنشّاب إلاّ تنجّساً لجيفكم؛ فإنكم أرجاس؛ فإن تذهبوا نخلّ عنكم، وإن تأتوا نركم مصارعكم؛ قال: فحمدت الله، وأثنيت عليه، فقلت: والله ما أخطأت من صفتنا شيئاً، ولا من نعتنا، إن كنا لأبعد الناس داراً، وأشدّ الناس جوعاً، وأشقى الناس شقاء، وأبعد الناس من كلّ خير، حتى بعث الله عزّ وجلّ إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فوعدنا النصر في الدّنيا، والجنة في الآخرة؛ فو الله ما زلنا نتعرّف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتح والنصر؛ حتى أتيناكم؛ وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبكم على ما في أيديكم؛ أو نقتل بأرضكم).[1]

سعد بن حُذيفة بن اليمان

هو سعد بن حذيفة بن اليمان بن حسيل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جروة وهو اليمان بن الحارث بن قطيعة بن عبس وأمه الرباب بنت كعب بن عدي بن كعب بن عبد الأشهل.

ولِدَ حذيفة بن اليمان في مكة، وعاش في المدينةِ المنورة ومات سنة 36 هجرية في المدائن. يُعرف ويكنى بحافظ سر الرسول، لأن محمد ووفق المَروي مِنْ الاحاديث قَد أسر له بأسماء كافة المُنافقين المُحيطين به ولَمْ يُفش بهذا السر لأي كانْ.

لَمْ يشهد سعد بن حُذيفة بدراً (أخبرنا وكيع بن الجراح وعبد الله بن نمير قالا حدثنا الأعمش عن أبي وائل في حديث رواه قال كان حذيفة يكنى أبا عبد الله وقال محمد بن عمر لم يشهد حذيفة بدرا وشهد أحدا هو وأبوه وأخوه صفوان بن اليمان).[2]

(1) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص867
(2) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ص 1324

تذكر المصادر العربية إنَّ عدم مُشاركته معركة بدر سببه إنه كان خارج المدينة آنذاك، فوقعَ أسيراً في يدِ أعداء محمد، وعِندَ استجوابه أعلمهم بأنه في طريقه إلى المدينة، ولا علاقة له بمحمد وجماعته وعاهدهم بعدم مقاتلتهم، وحصل أن تركوه فشد الرحيل مسرعاً إلى محمد مُخبراً إياه عَنْ ما حصل وبأن أعدائه يتأهبون للغزو. لم يسمح له محمد بالمشاركةِ في المعركة إيفاء بعهدهِ.

شهد حذيفة أحدا وما بعدها مِنْ المشاهد مع الرسو، وشهد فتح العراق والشام، وشهد اليرموك 13 هـ وبلاد الجزيرة 17هـ ونصيبين وفتوحات فارس. وكان فتح همدان والري والدينور على يده.

قُتل والده في معركة اُحد بسيوف صديقة، يذكر ابن الأثير قصة مَقتل والده (وأما اليمان فاختلفت عليه سيوف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه، فقال حذيفة: أبي أبي! فقالوا: والله ما عرفناه. فقال: يغفر الله لكم. وأراد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن يديه، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين).[1]

لموضوعِ كونه سر الرسول الكثير مِنْ الروايات ومنها ما ذكره ابن عربي (كان عمر يسأل حذيفة: أفي عمالي منافق؟ قال: نعم قال: من؟ قال: لا أخبرك فحصل ذات يوم جدال بين عمر وأحد العمال فطرده وبعد مرور الأيام عرف أنه هو المنافق).[2]

يبرئ ابن عربي عمر بن خطاب مِنْ تُهمة النِفاقْ ويضعه خارج القائمة رغم إنَّ بعض المُحدثين من المَحسوبين على التَّشيُعْ وهم قلة

(1) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ص298
(2) الفتوحات المكية ـ محيي الدين ابن عربي ص1796

يضعونه ضِمنَ القائمة (يقال له صاحب علم السر وبه كان يعرف أهل النفاق حتى أن عمر بن الخطاب استحلفه يوماً بالله هل في من ذلك شئ قال لا ولا أقوله لأحد بعدك)[1]

لسعد بن حذيفة بن اليمان مكانة مميزة عند الرسول حيث قال عنه (إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلِي نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ سَبْعَةَ رُفَقَاءَ نُجَبَاءَ وُزَرَاءَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ: حَمْزَةُ، وَجَعْفَرٌ، وَعَلِيٌّ، وَحَسَنٌ، وَحُسَيْنٌ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَالْمِقْدَادُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَحُذَيْفَةُ، وَسَلْمَانُ، وَعَمَّارٌ، وَبِلَالٌ).[2]

كان لِحذيفة بن اليمان دور في جمع القرآن كما يذكر ابن النديم (أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان وكان بالعراق وقال لعثمان أدرك هذه الأمة قبل أن اختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك).[3]

عُرِفَ عَنْ حذيفة بن اليمان شِدة حبه لعلي وشيعته وهذا ما يؤكده ابن أبي حديد (والذي نفس حذيفة بيده لو وضع جميع أعمال أمة محمد صلى الله عليه وسلم في كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال علي في الكفة الأخرى لرجح على أعمالهم كلها، فقال ربيعة: هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، إني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله! فقال حذيفة: يا لكع، وكيف لا يحمل! وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فملكهم الهلع

(1) الفتوحات المكية ـ محيي الدين ابن عربي ص1796
(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل رقم الحديث: 1219(حديث مرفوع)
(3) الفهرست ـ ابن النديم ص13

والجزع، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه علي فقتله! والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة).[1]

فترة ولايته المدائن تزوج النعمان من كتابية، وحول زواجه جرت مراسلات بينه مع عمر بن خطاب تكشف تلك المراسلات العقلية البدوية لقادة الخط الاول في الاسلام (وعَنْ سَيْفٍ، عن عبد الملك بْن أبي سليمان، عن سعيد بْن جبير، قال: بعث عمر بْن الخطاب إلى حذيفة، بعد ما ولاه المدائن، وكثر المسلمات: إنه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها.

فكتب إليه: لا أفعل حتى تخبرني أحلال أم حرام، وما أردت بذلك.

فكتب إليه: لا بل حلال ولكن في نساء الأعاجم خلابة، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم، فقال: الآن، فطلقها).[2]

أثناء مرضه في إبتداء خلافة علي بن ابي طالب لم يُطِق السكوت عن مناقبه وفضائله، فصعد المنبر، وأثنى عليه، وذكره بقوله: فو الله إنه لعلى الحق آخرًا وأوّلاً، وقوله: إنه لخير من مضى بعد نبيِّكم. وأخذ له البيعة، وهو نفسه بايعه أيضًا، وأوصى أولاده مؤكِّدًا ألا يقصِّروا في اتِّباعه. وكان حذيفة أحد الذين صلّوا على فاطمة الزهراء وحضروا جنازتها.

ما حكمة إخفاء محمد أسماء المنافقين عن بقية الصحابة؟ أليس من الحكمة نشر أسمائهم وفضحهم على المنابر حتى يحذرهم الناس ولا يتأثرون بهم؟ سؤال يطرح نفسه في المرويات المتناقضة حيث يؤكد ابن

(1) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ص 1990
(2) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك 3/588

حزم عدم صلاة حذيفة على أبي بكر وعمر وعثمان (ولم يقطع حذيفة ولا غيره على باطن أمرهم فتورَّع عن الصلاة عليهم).[1]

إذا ما ذكر اليعقوبي حادثة الصلاة على عثمان بن عفان ومن صلى على جثمانه (وكذلك لم يصل المسلمون على جثمان عثمان إلاّ أربعة فقط).[2]

فان ابن حزم يكشفُ نقلاً عنه هوية المُنافقين (فيا حذيفة انك مقتول وحيث ان اسرار حذيفة كانت كبيرة وخطيرة يقتل عادة كل من يحملها هو عارف بأسماء الجماعة المهاجمة على رسول الله صلّى الله عليه واله وسلم وكان في العقبة لقتله وهؤلاء الشرذمة هم الخليفة الاول والثاني والثالث ومعهم معاوية وعمر ابن العاص وابو موسى الاشعري وابو سفيان وعبد الرحمن ابن عوف والمغيرة ابن شعبة وابو عبيدة ابن الجراح).[3]

اما مسلم وفي صحيحه فانه يفتح الابواب لنقاش حول هوية اربعة ممن يدخلون الجنة وهم منافقين (فَقَالَ (عمار): مَا عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَلَكِنْ حُذَيْفَةُ أخبرني عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم ـ قَالَ قَالَ النبي «في أصحابي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لا يدخلون الجنة حتى يلِج الجمل فى سم الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدُّبَيلة، وأَربعةٌ لمْ أَحفظْ ما قالَ شعْبة فِيهِمْ).[4]

ما يثير التساؤل هو شكوك عمر بن خطاب إن كان ضمن قائمة المنافقين، فعن ابن حزم (عن زيد بن وهب قال: مات رجل من المنافقين

(1) المحلى، ابن حزم الأندلسي 11/255
(2) تاريخ اليعقوبي 176 / 2
(3) المحلى ـ ابن حزم الاندلسي 225 / 11
(4) صحيح مسلم ـ 122 / 8

فلم يصل عليه حذيفة، فقال له عمر: أمن القوم هذا؟، قال: نعم، قال: بالله أمنهم أنا؟، قال: لا، ولن أخبر به بعدك أحداً).[1]

ويؤكد ذلك الطبري (حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن زيد بن وهب قال مات رجل من المنافقين فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر أمن القوم هو قال نعم فقال له عمر بالله منهم أنا قال لا ولن أخبر به أحدا بعدك).[2]

وكذلك الغزلي (فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة، وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقي منهم ولا يخبر بأسمائهم، وكان عمر رضي الله عنه يسأل عن نفسه هل يعلم فيه شيئاً من النفاق؟ فبرأه من ذلك).[3]

ابن أبي شيبة يرسم علامات الشك العمري وتبرئته من قبل اليمان (قال مسدد: ثنا يحيى، عن الأعمش، عن زيد بن وهب قال: سمعت حذيفة، يقول: «مات رجل من المنافقين فلم أصل عليه، فقال عمر: ما منعك أن تصلي عليه؟ قلت: إنه منهم، فقال: أبالله منهم أنا؟ قلت: لا. قال: فبكى عمر» إسناده صحيح، وقد استنكره يعقوب بن سفيان من حديث زيد بن وهب).[4]

بغض النَطر إن كان نهاية اليمان اغتيالاً أو موتاً فان قَبره قد غرق في دجلة بعد عقود من وفاته، في سنة 1933م (نتيجة وصول مياه نهر دجلة إلى القبر، رأى الملك غازي ومفتي الديار العراقية ومهندس الأوقاف بضرورة النقل، وقد حضر الملك غازي مراسم فتح القبر والتشييع والدفن، ونقل الجثمان بجوار سلمان الفارسي ضمن موكب عسكري وجماهيري).[5]

(1) إبن حزم ـ المحلى ـ الجزء: 11 ص 222
(2) جامع البيان في تأويل القرآن ـ الطبري ـ جزء 14 ص 443
(3) إحياء علوم الدين ـ أبو حامد الغزالي ص 83
(4) المصنف في الأحاديث والآثار ـ بن أبي شيبة ـ الجزء 7 ص481
(5) مجلة الكوثر العراقية، العدد 25 ص 11

غزوة أبو حَفصْ القريشي في شَهرَزور

كتبَ الحِميري عَنْ شهرزور (شهرزور في جهة حلوان وبقرب كوى من بابك هاروت وماروت، ومعنى شهرزور نصف الطريق، وكان منتصف طريقهم إلى بيت نار لهم، وكانت شهرزور مضمومة إلى الموصل حتى فرقت في آخر خلافة الرشيد. ومن شهرزور ابن الصلاح، المحدث المؤلف المشهور أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر المعروف بابن الصلاح..' وبشهرزور توفي الإسكندر بعد أن غزا الهند ومشارق الأرض وقتل ملوكها ودانت له عامة البلاد وانتهى إلى البحر المحيط، فهال ذلك ملوك غرب الأرض.. وشهرزور مشهورة بالعقارب، ولذلك قال ابن الرومي في قينة:

فقرطهـــا بعقـــرب شـــهرزور إذا غنـــت وطوقهـــا بأفعـــى).[1]

نادراً ما نَجدْ مدينة أو منطقة شغل التاريخ والحاضر كشهرزور. مدينة هزمت جيش الاحتلال الإسلامي في كردستان، بعدَ أنْ فشل «عمر عزرة بن قيس» وهو أحد قادة أبا حَفصْ القريشي (عمر بن خطاب) باحتلالها بعد مقاومة كردية.

بعد قِتال شرس وخسائر كبيرة بين صفوف الجيش الغازي تمكن «عتبة بن فرقد» مِنْ احتلالها.

(1) الروض المعطار في خبر الأقطار ـ محمد بن عبد المنعم الحِميري ص336

يذكر ابن الاثير في كتابه الكامل في التاريخ (غزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان، فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت. وصالح أهل الصامغان وداراباذ على الجزية والخراج على أن لا يقتلوا ولا يسبوا ولا يمنعوا طريقاً يسلكونه، وقتل خلقاً كثيراً من الأكراد).[1]

«شهرزور» ووفق «ياقوت الحموي» (بنيت على يد دارا بن دارا ومنها كان طالوت، وإن نبي الله داود وسليمان عليه السلام دَعَوا لها ولأهلها بالنصر، ولم يظفر الإسكندر بها، (يقال: إن داود وسليمان عليه السلام دَعَوا لها ولأهلها بالنصر فهي ممتنعة أبداً عمن من يرومها، ويقال: إن طالوت كان منها وبها استنصر بنو إسرائيل وذلك أن جالوت خرج من المشرق وداود من المغرب وأيده الله عليه، وهذه المدينة بناها دارا بن دارا ولم يظفر الإسكندر بها ولا دخل أهلها في الإسلام إلا بعد اليأس منهم والمتغلبون عليها من أهلها إلى اليوم يقولون إنهم من ولد طالوت).[2]

أما السمعاني وفي أنسابه يُعيد بناء المدينة الى زور بن الضحاك (هذه النسبة إلى شهرزور وهي بلدة بين الموصل وزنجان، بناها زور بن الضحاك، فقيل شهرزور يعني: بلد زور، خرج منها جماعة من العلماء والمحدثين).[3]

بالرغم مِنْ إنَّ ياقوت الحموي يُعيد بناء المدينة الى دارا بن دارا فانه يعيدها وفي مكان آخر الى زُور بن الضحاك (شَهرَزُورُ وهي في الإقليم الرابع طولها سبعون درجة وثُلث وعرضها سبع وثلاثون درجة ونصف وربع،

(1) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ص 465
(2) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص 1069
(3) الأنساب السمعاني ص 823

وهي كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان أحدثها زُور بن الضحاك ومعنى شهر بالفارسية المدينة وأهل هذه النواحي كلهم أكراد).[1]

هي مدينة كردية صغيرة كما وصفها الاصطخري (أما شهرزور فانها مدينة صغيرة، قد غلب عليها الأكراد على قربها من العراق، ولا يكون بها أمير ولا عامل، وهي في يد الأكراد، وكذلك سهرورد الغالب عليها الأكراد، وهي مدينة صغيرة).[2]

كانت شهرزور تابعة الى أعمال الموصل (ولم تزل شهرزور وأعمالها مضمومةً إلى الموصل حتى فرقت في آخر خلافة الرشيد. فولى شهرزور والصامغان ودراباذ رجلٌ مفردٌ).[3]

شهدت المدينة مقاومة كبيرة ضد قوات جيش الاحتلال الإسلامي وذلك لشدة وبأس أهلها، فعن الحموي (قال مِسعر بن مُهلهل الأديب: شهرزور مدينات وقرى فيها مدينة كبيرة وهي قصبتها في وقتنا هذا يقال لها: نيم از راي وأهلها عُصاة على السلطان قد استطعموا الخلاف واستعذبوا العصيان والمدينة في صحراء ولأهلها بَطْشٌ وشدة يمنعون أنفسهم ويحمون حوزَتهم وسمك سور المدينة ثمانية أذرع وأكثر أمرائهم منهم وبها عقارب قتّالة أضرُ من عقارب نصيبين).[4]

رغم هزيمة أقوى إمبراطوريتين على يد الجيوش الإسلامية، فان شهرزور سجلت أروع اشكال المقاومة. المقاومة تُولد الكراهية لدى المُعتَّدي، وهذا ما تجسد في الشعر الشوفيني لشعراء ذلك العصر، حيث

(1) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص 1069
(2) المسالك والممالك ـ الاصطخري ص 71
(3) فتوح البلدان ـ البلاذري ص 134
(4) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص1069

كتب عمرو بن السيح بن حدي بن الدها بن غنم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة:

لقيناهم بجمع من علافٍ وبالخيل الصلادمة الذكور
فلاقت فارسٌ منا نكالاً وقتلنا هرابذ شهرزور
دلفنا للأعاجم من بعيدٍ بجمع م الجزيرة كالسعير[1]

وأنشد ابن وهبان لنفسه ملغزا ((شهرزور)): (الرجز)

ما بلدٌ نصف اسمهِ جُزءٌ من الزَّمانِ
ونصفه الآخرُ لا يخلو من البُهتانِ
بينهُ للسَّائلِ ياذا الفهم والبيانِ

وقول ابن الأَعرابي (وقد ذكر شهرَزُورَ: قبّحها الله، إنّ رجالها لنُزْق وإنَّ عقاربها لبُرْق أَي أَنها تشول بأَذنابها كما تشول الناقة البَروق).[2]

وكتب ابن الرومي:

فقرطها بعقرب شهرزور إذا غنت وطوقها بأفعى[3]

يذكر البلاذري في «فتوح البلدان» تفاصيل عملية احتلال شهرزور والمقاومة الكردية فيها (حدثني إسحاق بن سليمان الشهرزورى قال: ثنا أبي، عن محمد بن مروان، عن الكلبي، عن بعض آل عزرة البجلى أن عزرة بن قيس حاول فتح شهرزور وهو والٍ على حلوان في خلافة عمر فلم يقدر عليها. فغزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان. وكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت.

(1) تاريخ الطبري ـ ذكر الخبر عن القائم بملك فارس بعد أردشير بن بابك
(2) تاريخ أربل ـ ابن المستوفي ص202
(3) لسان العرب ـ ابن منظور ص382

وحدثني إسحاق، عن أبيه، عن مشايخهم قال: صالح أهل الصامغان ودراباذ عتبة على الجزية والخراج، على أن لا يقتلوا ولا سبوا ولا يمنعوا طريقاً يسلكونه.

وحدثني أبو رجاء الحلواني، عن أبيه، عن مشايخ شهرزور قالوا: شهرزور والصامغان ودراباذ من فتوح عتبة ابن فرقد السلمي. فتحها وقاتل الأكراد فقتل منهم خلقاً، وكتب إلى عمر: إني قد بلغت بفتوحي أذربيجان. فولاه إياها. وولى هرثمة بن عرفجة الموصل).[1]

الكراهية البدوية تصل مَداها الشوفيني لِدرجةِ الاستهزاء بمقدسهم (القرآن) وتحريفه بغرض إهانة الكرد المقاومين، حيث كتبَ الحموي في ياقوته (الأَكراد في جبال تلك النواحي على عادتهم في إخافة أبناء السبيل وأخذ الأموال والسرقة ولا ينهاهم عن ذلك زجر ولا يصدُهم عنه قتل ولا أسر وهي طبيعة الأكراد معلومة وسجية جباههم بها موسومة وفي ملح الأخبار التي تكْسَعُ بالاستغفار أن بعض المتظرفين قرأ قوله تعالى: الأكراد: أشدُ كُفراً ونفاقاً فقيل له: إن الآية «الأعراب أشد كفراً ونفاقاً» التوبة: 97، فقال: إن الله عز وجل لم يسافر إلى شهرزور فينظر إلى ما هنالك من البلايا المخبآت في الزوايا وأنا أستغفر الله العظيم من ذلك وعلى ذلك).[2]

تذكُر المصادر التاريخية إنَّ بعض مناطق شهرزور قد تَشيَّعوا على يد زيد بن علي، وكان هذا سبباً لِممارسة عمليات القتل والحرق بحق المُتَّشعين وعلى وجه الخصوص في مدينة بشيز (أهالي شهرزور وهم موالي عمر بن عبد العزيز وجزاهم الأكراد بالغلبة على الأمر او مخالفة الخلفاء وذلك أن بلدهم مشتى ستين ألف بيت من أصناف الأكراد الجلالية

(1) الروض المعطار في خبر الأقطار ـ محمد بن عبد المنعم الحِميري ص336
(2) فتوح البلدان ـ البلاذري ص133

والباسيان والحكمية والسولية ولهم به مزارع كثيرة ومن صحاريهم يكون أكثر أقواتهم ويقرب من هذه المدينة جبل يعرف بشَعران وآخر يعرف بالزلَم الذي يصلح في أدوية الجماع ولا أعرفه في مكان غيره، ومنها إلى دَيلَمَستان سبعة فراسخ وقد ذكرت ديلمستان في موضعها، وبشهرزور مدينة أخرى دونها في العصيان والنجدة تعرف بشيز وأهلها شيعة صالحية زيدية أسلموا على يد زيد بن علي وهذه المدينة مأوى كل ذاعر ومسكن كل صاحب غارة وقد كان أهل نيم أزراي أوقعوا بأهل هذه المدينة وقتلوهم وسلبوهم وأحرقوهم بالنار للعصبية في الدين بظاهر الشريعة وذلك في سنة 341، وبين المدينتين مدينة صغيرة يقال لها: دزران بناؤها على بناء الشيز وداخلها بُحيرة تخرج إلى خارجها تركض الخيل على أعلى سورها لسعته وعرضه وهي ممتنعة على الأكراد والولاة والرعية وكنت كثيراً ما أنظر إلى رئيسها الذي يدعونه الأمير وهو يجلس على برج مبني على بابها عالي البناء وينظر الجالس عليه إلى عدة فراسخ وبيده سيف مجرَد فمتى نظر إلى خيل من بعض الجهات لَمع بسيفه فانجفلت مواشي أهلها وعواملهم إليها وفيها مسجد جامع وهي مدينة منصورة).[1]

بِحُكمِ موقعها الجغرافي وشدة باس أهلها وبحثِهم عَن الحرية يقول الشاعر الشهرزوري وصاحب ابن عباد الشاعر علي بن محمد، أبو الحسن البديهي:

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاي طلعة حرّ

تحولت شهرزور الى قاعدة لِكل مُتَّمرد وباحث عَنْ الأمان أثناء الصراعات الإسلامية ـ الإسلامية، وما قصة فروة بن نَوفل الأشجَعي أثناء

(1) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص1069

الصراع بين علي ومعاوية، وقصة الخوارج واختِلافهم يوم النهروان واعتزال فروة بن نَوفل الأشجَعي مع خمسمائة فارس بعدَ رفضه قِتال علي ودعوته لِمقاتلة معاوية بعد لجوئه الى شهرزور الا شواهد تاريخية لاحتضان شهرزور لِكل مُتَّمرد على القمع والسلطات المركزية.

رغم حرب الإبادة الذي مارسه جيش الاحتلال الإسلامي، فان شهرزور أنجبت مفكرين وادباء وفقهاء في الدين الذي كانت الواجهة لاحتلال كردستان، ومنهم الكوراني الذي ولد بشهران (من أعمال شهرزور) وسمع الحديث بالشام ومصر والحجاز، وسكن المدينة، وتوفي بها ودفن بالبقيع. وكان يجيد العربية والفارسية والتركية. كان الكوراني مُجتهداً ومِنْ فقهاء الشافعية، وعالم بالحديث. كتب ما يزيد عن الثمانين كتاباً، منها (أتحاف الخلف بتحقيق مذهب السلف) و(الأمم لإيقاظ الهمم) و(لوامع الآل في الاربعين العوال).

أما المُتَّصوف أسعد بن محمود الصاحب النقشبندي الذي انتقل اجداده من شهرزور الى دمشق. فقد ولد في دمشق وتوفي بها.

للنقشبندي رسائل في التصوف منها (الجواهر المكنونة) و(نور الهداية والعرفان) و(الفيوضات الخالدية) نسبة الى الشيخ خالد النقشبندي. وله كتاب في (رجال الطريقة النقشبندية).

أما خالد بن أحمد بن حسين، أبو البهاء، ضياء الدين النقشبندي فقد ولِدَ في قصبة قره داغ وهاجر إلى بغداد في صباه، ورحل إلى الشام في أيام داود باشا (والي العراق)، وتوفى في دمشق بالطاعون. من كتبه (شرح مقامات الحريري) لم يتمه، و(شرح العقائد العضدية) ورسالة في (أثبات مسألة الإرادة الجزئية) و(جلاء الأكدار) و(ديوان فارسي) وجمعت

رسائله في كتاب سمي (بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد) ولعثمان بن سند، كتاب فيه، سماه (أصفى الموارد من سلسال أحوال الأمام خالد).

أما عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) ابن موسى الشهرزوري الكردي الشرخاني المعروف بابن الصلاح فهو أحد المُقدمين في التَّفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال. ولِدَ في شرخان (قرب شهرزور) وانتَّقل الى الموصل ثم الى خراسان، فبيت المقدس حيث ولي التدريس في الصلاحية. انتقل عثمان بن عبد الرحمن الى دمشق، فولاه الملك الاشرف تدريس دار الحديث، وتوفى بها. له كتاب (معرفة انواع علم الحديث) يعرف بمقدمة ابن الصلاح، و(الامالي) و(الفتاوى) جمعه بعض اصحابه، و(شرح الوسيط) في فقه الشافعية، و(صلة الناسك في صفة المناسك) و(فوائد الرحلة) و(ادب المفتي والمستفتي) و(طبقات الفقهاء الشافعي).

أما علي بن محمد، أبو الحسن البديهي فهو شاعر بغدادي. أصله من شهرزور وكانَ مُتَّصلاً بالصاحب ابن عباد، وله فيه شعر. وهو صاحب البيت المشهور:

أتمنى على الزمان محال أن ترى مقلتاي طلعة حرّ

أما القاضي أبو أحمد القاسم بن المظفر بن علي الشهرزوري، فكان من أهل العلم وولده القاضي أبو بكر محمد بن القاسم الملقب بقاضي الخافقين حيث تفقه على أبي إسحاق الشيرازي، وولي القضاء بعدة، ورحل إلى العراق وخراسان والجبال. سمع الحديث من أبي نصر الزينبي وأبي بكر بن خلف الشيرازي وكانت ولادته باربيل سنة ثلاث أو أربع وخمسين وأربعمائة، وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة.

الجزيرة...عين الوردة (رأس العين)

هناك اختلاف في المصادر العربية حول تحديد السنة التي تم فيها غزو الجزيرة، بعض المؤرخين يعتبرون العام 19 هـ هو التاريخ الفعلي لغزوها، وآخرون يحددون العام 18هـ كما يذكر ابن الأثير في الكامل في التاريخ، أو القرن 17 هـ كما يذكر الطبري في (تاريخ الرسل والملوك) وياقوت الحموي في معجم البلدان.

كان فتح الجزيرة سهلاً كما يذكر أغلب المؤرخين الإسلاميين لانَّ أهلها كانوا بين العراق والشام وكلاهما تم غزوهما واحتلالهما مِنْ قبل الجيوش الإسلامية.

سيطرة الجيوش الإسلامية على العراق والشام غير موازين القوى لغير صالح الكرد وبقية المكونات في كردستان وهذا شجع الخليفة الثاني عمر بن خطاب بإطلاق حملة غزو كردستان.

يصف الطبري الأجواء العسكرية والسيكولوجية لِطرفيّ الصراع قبل احتدام المعارك وعمليات النهب بعناوين مختلفة (سلك سهيل بن عديّ وجنده طريق الفراض حتى انتهى إلى الرّقة، وقد ارفضّ أهل الجزيرة عن حمص إلى كورهم حين سمعوا بمقبل أهل الكوفة، فنزل عليهم، فأقام محاصرهم حتى صالحوه؛ وذلك أنهم قالوا فيما بينهم: أنتم بين أهل العراق وأهل الشأم؛ فما بقاؤكم على حرب هؤلاء وهؤلاء! فبعثوا في ذلك إلى

عياض وهو في منزل واسط من الجزيرة؛ فرأى أن يقبل منهم؛ فبايعوه وقبل منهم؛ وكان الذي عقد لهم سهيل بن عديّ عن أمر عياض، لأنه أمير القتال وأجروا ما أخذوا عنوة، ثم أجابوا مجرى أهل الذّمة). [1]

عمليات النَهب وترويع الكُرد، وقبلها المُدن المجاورة لهم، كانت مُقدمة الفتوحات الإسلامية في كُردستان وعامل ضغط سيكولوجي على سكان كردستان. كتب ابن الأثير) إن أبا عبيدة لما توفي استخلف عياضاً فورد عليه كتاب عمر بولايته حمص وقنسرين والجزيرة، فسار إلى الجزيرة سنة ثماني عشرة يوم الخميس للنصف من شعبان في خمسة آلاف وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي، وعلى ميسرته صفوان بن المعطل، وعلى مقدمته هبيرة بن مسروق، فانتهت طليعة عياض إلى الرقة فأغاروا على الفلاحين وحصروا المدينة، وبعث عياض السرايا فأتوه بالأسرى والأطعمة، وكان حصرها ستة أيام، فطلب أهلها الصلح، فصالحهم على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم، وقال عياض: الأرض لنا قد وطئناها وملكناها، فأقرها في أيديهم على الخراج ووضع الجزية. ثم سار إلى حران فجعل عليها عسكراً يحصرها عليهم صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة وسار هو إلى الرهاء، فقاتله أهلها ثم انهزموا وحصرهم المسلمون في مدينتهم، فطلب أهلها الصلح فصالحهم).[2]

كان العنف لغة الجيوش الإسلامية رغم رفع رايات الله وأسماءه الحسنى. كانت حروب جمع الجزية أكثر من كونها نشر الدين الإسلامي، (إن عياضاً سرح سهيلاً وعبد الله إلى الرهاء فأجابوهما إلى الجزية وأجروا كل ما أخذوه من الجزيرة عنوةً مجرى الذمة).[3]

(1) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص836
(2) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ص440
(3) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ص439

عمليات احتلال كردستان ومنها الجزيرة تم توثيقه شعرياً من قبل عياض بن غنم:

من مبلـغ الأقـوام أنّ جـمـوعـنـا حـوت الـجـزيرة يوم ذات زحـام

جمعـوا الجزيـرة والغياث فنفّسـوا عمّـن بـحـمـص غـيابة الـقـدّام

إنّ الأعـــزّة والأكـــارم معـشـــر فضّـوا الجزيـرة عـن فـراخ الهـام[1]

الخليفة الثاني عمر بن الخطاب والمشهور اسلامياً بالعادل مارسَ أبشع أشكال الإرهاب بحقِ مواطني خلافته ودولته الاسلامية، فعن ابن الأثير(فلما قدم كتاب الوليد على عمر بمن دخل الروم من العرب كتب عمر إلى ملك الروم: بلغني أن حياً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك، فوالله لتخرجنه إلينا أو لنخرجن النصارى إليك. فأخرجهم ملك الروم، فخرج منهم أربعة آلاف وتفرق بقيتهم في ما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم).[2]

بل ويُهدد العادل بحربِ إبادة شاملة ضد المسيحيين، والتعامل معهم كرهائن، وليس مواطنين ضمن حدود دولة خلافته الإسلامية، (أخبرنا سيف عن خالد بن سعيد قال: لما علم عياض بهروب إياد الشمطاء إلى بلاد الروم كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك فأرسل عمر رضي الله عنه إلى هرقل وولده قسطنطين يقول لهم: إن لم تصرفوهم عن أرضكم لأفنين كل نصراني عندنا).[3]

خطاب التَّوحش لا يمكن تَصوره الا مَنْ كان بعقليةِ قائد منظمة إرهابية على شاكلة خطابات داعش والنصرة هو مخاطبته لنصراني الجزيرة

(1) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص836 ومعجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص493
(2) الكامل في التاريخ ابن الأثير ص 439
(3) فتوح الشام ـ الواقدي ص340

(جاء عبد الله بن عبد الله بن غسان، فسلك على رجليه حتى انتهى إلى الموصل، فعبر إلى بلد حتى انتهى إلى نصيبين، فلقوه بالصلح وصنعوا كما صنع أهل الرقة. وبعث إلى عمر برؤوس النصارى من عرب أهل الجزيرة.

فقال لهم عمر: أدوا الجزية.

فقالوا: أبلغنا مامننا، فوالله لئن وضعت علينا الجزية لندخلن أرض الروم، والله لتفضحنا من بين العرب.

فقال لهم: أنتم فضحتم أنفسكم، وخالفتم أمتكم، ووالله لتؤدن الجزية وأنتم صغرة قمئة، ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم، ثم لأسبينكم.

قالوا: فخذ منا شيئاً ولا تسميه جزية.

فقال: أما نحن فنسميه جزية، وأما أنتم فسموه ما شئتم).[1]

أما مدينة سري كانيه الكردستانية (عين الوردة، رأس العين) فكانت مِنْ كور الجزيرة. يصف الحِميري بشكل تفصيلي جغرافية المدينة ومواردها الطبيعية (من كور الجزيرة وبمقربة من نصيبين، وبينها وبين الفرات أربعة فراسخ، وهي كلها بين الجزيرة والشام، وهي مدينة كبيرة عليها سوران، وهذا الاسم لها صادق جداً، فإن الله تعالى فجر أرضها عيوناً وأجراها ماء معيناً فتقسمت مذانب وانسابت جداول، في مروج خضر كأنها سبائك اللجين ممدودة في بساط الزبرجد، تحف بها أشجار وبساتين قد انتظمت حافتيها، وأعظم هذه العيون عينان إحداهما فوق الأخرى، فالعليا منهما نابعة تحت الأرض في صم الحجارة كأنها في جوف غار كبير متسع فينبسط الماء حتى يصير كالصهريج العظيم، ثم يخرج ويسيل نهراً كأكبر ما يكون من أنهار وينتهي إلى العين الأخرى ويلتقي بمائها، وهذه العين

(1) البداية والنهاية ـ ابن كثير ص 2702

الثانية تحت الأرض في الحجر الصلد نحو أربع قامات أو أزيد، ويتسع منبعها حتى يصير صهريجاً كبيراً ويعلو بقوة نبعه حتى يسيل على وجه الأرض، فربما يروم السابح القوي السباحة الشديد الغوص في أعماق المياه أن يصل بغوصه إلى قعره فيمجه الماء بقوة انبعاثه من منبعه، فلا يتناهى في غوصه إلا إلى مقدار نصف مسافة العين أو أقل، وماؤها أصفى من الزلال، ويصطاد فيها سمك جليل من أطيب ما يكون من السمك، وينقسم ماء هذه العين نهرين، أحدهما أخذ يميناً والآخر يساراً، فالأيمن يشق على خانقة مبنية للصوفية والغرباء بازاء العين، وهي تسمى الرباط، والأيسر يمر على جانب الخانقة وتفضي منه جداول إلى مطاهرها ومرافقها المعدة للحاجة البشرية، ثم يلتقيان أسفلها مع نهر العين الأخرى العليا، وقد بنيت على شط نهرهما المجتمع بيوت أرحاء. ومن مجتمع ماء هاتين العينين منشأ نهر الخابور).[1]

وفق تفسير السيوطي والقرطبي فان المدينة قد ذكر في القران من خلال تفسيرهما لسورة هود الاية 40 ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

أخرج ابن عباس في قوله: (فار التنور): العين التي بالجزيرة، عين الوردة، وأخرج عن قتادة قال: التنور أشرف الأرض وأعلاها، عين بالجزيرة، عين الوردة.[2]

(1) الروض المعطار في خبر الأقطار ـ محمد بن عبد المنعم الحميري ص258
(2) مفحمات الأقران في مبهمات القرآن ـ السيوطي ص12

أما القرطبي في تفسيره قال (أنه العين التي بالجزيرة «عين الوردة «رواه عكرمة. وقال مقاتل: كان ذلك تنور آدم، وإنما كان بالشام بموضع يقال له: «عين وردة «وقال ابن عباس أيضا: (فار تنور آدم بالهند).

ويذكر ابن منظور في كتابه مختصر تاريخ دمشق ان سري كانيه كانت بداية رحلة النبي نوح (قالوا: وفار الماء من التنور بأرض الجزيرة من عين وردة، وركب نوح من رأس العين بالجزيرة).[1]

المصادر الإسلامية تُجمع على مقاومة كردية شرسة لجيوش الإحتلال الاسلامي، حيث يذكر البلاذري في فتوح البلدان (حدثني أبو أيوب الرقى المؤدب قال: حدثني الحجاج بن أبي منيع الرصافي عن أبيه، عن جده قال: فتح عياضٌ الرقة ثم الرها ثم حران ثم سميساط على صلح واحد. ثم أتى سروج وراسكيفا والأرض البيضاء فغلب على أرضها، وصالح أهل حصونها على مثل الرها. ثم إن أهل سميساط كفروا، فلما بلغه ذلك رجع إليهم، فحاصرها حتى فتحها. وبلغه أن أهل الرها قد تقضوا، فلما أناخ عليهم فتحوا له أبواب مدينتهم فدخلها وخلف بها عامله في جماعة. ثم أتي قريات الفرات وهي جسر منبج وذواتها، ففتحها على ذلك. وأتى عين الوردة، وهي رأس العين، فامتنعت عليه فتركها.[2]

بعد فشل عياض باحتلال سري كانيه وبعدَ سقوط المُدن واحدة تلو الأخرى، تمكن عمر عمير بن سعد الأنصاري مِنْ احتلال المدينة (وولى عمر سعيد بن عامر بن حزيم فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات. فولى عمر عمير بن سعد الأنصاري ففتح عين الوردة بعد قتال شديد).[3]

(1) مختصر تاريخ دمشق ـ ابن منظور ص 3536
(2) فتوح البلدان ـ البلاذري ص70
(3) فتوح البلدان ـ البلاذري ص 70

هزيمة عياض وتكليف عمير بن سعد لقيادة الجيش يؤكده ابن الأثير (وقيل: إن عياضاً أرسل عمير بن سعد إلى رأس عين ففتحها بعد أن اشتد قتاله عليها. وقيل: إن عمر أرسل أبا موسى الأشعري إلى رأس عين بعد وفاة عياض).[1]

فتح سري كانيه كان سنة تسع عشرة كما يذكر الطبري (وقال ابن إسحاق: كان فتح الجزيرة والرّهاء وحرّان ورأس العين ونصيبين في سنة تسع عشرة. قال أبو جعفر: وقد ذكرنا قول من خالفهم في ذلك قبل).[2]

تتفق المصادر العربية على إنَّ المُقاومة الكردية في سري كانيه والذي اشترك فيه مكونات المدينة لِمواجه جيش الاحتلال الإسلامي كانت شديدة، يذكر الواقدي في كتابه فتوح الشام (ولم يؤخذ من ديار بكر بالسيف إلا رأس العين. قال: وأخرج الخمس من المال وأرسله إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله).[3]

يتَّناول الواقدي تحضيرات المدينة بقيادة يوقنا برودس لِمواجهة الجيش الإسلامي (حدثنا فاهم اليشكري عن بشار بن عدي عن سراقة بن زهير عن خزيمة بن عازم عن جده عبد الله بن عامر. قال: إنه لما فتح الرها وحران وسروج صلحاً اجتمع يوقنا برودس ومعه أصحابه. فقال: اعلموا أن الله سبحانه وتعالى قد فتح علينا هذه البلاد، وأن رأس العين مدينة عظيمة وأهلها قد استعدوا للقتال وآلة الحصار وربما صعب أمرها وعسر فتحها على المسلمين).[4]

(1) الكامل في التاريخ ابن الأثير ص440
(2) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص 859
(3) فتوح الشام ـ الواقدي ص 373
(4) فتوح الشام ـ الواقدي ص 363

المُدن التي تمَ احتلالها، وكما تذكر المَصادر الإسلامية صُلحاً ليست الا أكذوبة تاريخية، فالمُدن التي استَّسلمتْ وخَضعتْ للجيوش الإسلامية وقوانينها الجائرة كان بعد حملات إبادة لِمدن مجاورة، وبث حالةِ الرُعب ومِنْ ثم حصار وحشي هو شكل مِنْ أشكال الحرب (وسار عياض بن غنم من طبرية في ثمانية آلاف يريد الجزيرة وعلى مقدمته خيل سهل بن عدي فلم يزال سائراً حتى نزل على بالس وكان خالد قد فتحها صلحاً فأقام عليها وسرح سهيل بن عدي إلى الرقة فنزل على حصارها وكان عليها بطريق اسمه يوحنا وكان من قبل صاحب رأس العين، وكان قد استعد للحرب وعلى آلة الحصار، فلما رأى أهل الرقة أن صاحبهم معول على الحصار اجتمع بعضهم ببعض وقالوا: أي شيء أنتم بين أهل الشام وأهل العراق ولا مقام لكم بين يدي هؤلاء القوم. قال: فمشوا إلى عياض بن غنم بالصلح فرأى أن يقبل منهم فبعث إلى سهيل بن عدي أن يصالحهم على ما وقع عليه الاتفاق وارتحل عياض بن غنم عن بالس ونزل على الرقة البيضاء وفي ذلك قال سهيل بن علي:

وصادفنا الغزاة غداة سرنا ... بجود الخيل والأسل الطوال
أخذنا الرقة البيضاء لما ... رأتنا الشهب نلعب بالتلال
وأزعجت الجزيرة بعد خفض ... وقد كانت تخوف بالزوال
سنقصد رأس عين بعد حين ... أجد بحملتي جيش الضلال
وقصدك يا سهيل تبيد جيشاً ... وتقتل في البطارق لا تبالي
فنحن أولو التقية والمعالي ... ونحن الصابرون لكل حال
صحابة أحمد خير الموالي ... رقى العلياء والرتب العوالي
إلى رب السماء دنا علواً ... وخاطبه شفاها بالمقال[1]

(1) فتوح الشام ـ الواقدي ص 329

كتبَ النُعمان بن المنذر قصيدة تنُم على العقلية المُتَّخلفة لقادة الجيش الإسلامي الذي يُقدس الحرب وسيلة لِلنهبِ بواجهةِ الدين:

وانـا لقـوم فـي الحـروب ليوثهـا وتنفـر منـا عنـد ذاك أسـودها.

نحامـي عـن الديـن القويـم نصونـه 5ونرغـم آنـاف العـدا ونذودهـا.

لنـا الفخـر فـي كل المواطـن دائمـا بأحمدنـا الهـادي فـذاك سـعيدها.

ملكنـا بـلاد الشـام ثـم ملوكهـا إلـى أن تبـدي بالنـكال عديدهـا.

وسـوف نقـود الخيـل جـردا سـوابقا إلـى شـهرياض الكلـب ذاك شـديدها.

ونملـك دارا ثـم جمليـن بعدهـا كـذا رأس عيـن والجيـوش نقودهـا.[1]

احتلال سري كانيه سبقه عمليات نهبٍ للرعاة والفلاحين، فعن الواقدي(حدثنا صاعد بن عدي النميري عن أبيه أنه سمعه وهو يحدث الناس بالمدينة وقد أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأموال رأس العين وخزائن الملك شهرياض).[2]

احتلال سري كانيه رافقه عمليات قتل ونهب بشعة كما يذكر البلاذري (حدثني عمرو بن محمد عن الحجاج بن أبي منيع عن أبيه، عن جده قال: امتنعت رأس العين على عياض بن غنم ففتحها عمير بن سعد وهو والي عمر على الجزيرة بعد أن قاتل أهلها المسلمين قتالاً شديداً. فدخلها المسلمون عنوة ثم صالحوهم بعد ذلك على أن دفعت الأرض إليهم ووضعت الجزية على رؤوسهم على كل رأس أربعة دنانير، ولم تسب نساؤهم ولا أولادهم). [3]

(1) فتوح الشام ـ الواقدي ص342
(2) فتوح الشام ـ الواقدي ص339
(3) فتوح البلدان ـ البلاذري ص71

عمليات النهبِ رافقتها حملات قمعٍ مُنظمة لأصحابِ الديانات الأخرى على خلاف ما يدعيه الإسلاميين فيٍ وقتنا الراهن. لقد تمَ هدم الكنائس وتحويلها الى مساجد كما يذكر البلاذري (وأقام المسلمون على رأس عين شهراً وعمل بيعة نسطورياً جامعاً وصلوا فيه وبنوا الكنائس مساجد وترك عرفجة بن مازن العامري عليها والياً ومعه مائة فارس وأخذ مال الرها وكفر لوتا فأخرج منه الخمس وأرسله بعد عبد الله بن جعفر مع سلامة بن الأحوص ومعه خمسون فارساً).[1]

بالرغم مِنْ الخلِاف حول مَنْ فتحها إن كان أبا موسى الأشعري أو عمير بن سعد فان الاحتلال الإسلامي رافقه هروب الكثير مِنْ سكان المدينة، وعمليات استيطان وتغيير ديموغرافية (وقال الحجاج: وقد سمعت مشايخ من أهل رأس العين يذكرون أن عميراً لما دخلها قال لهم: لابأس لابأس، إلي إلي. فكان ذلك أماناً لهم. وزعم الهيثم بن عدي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث أبا موسى الأشعري إلى عين الوردة فغزاها بجند الجزيرة بعد وفاة عياض. والثبت أن عميراً فتحها عنوة فلم تسب، وجعل عليهم الخراج والجزية ولم يقل هذا أحد غير الهيثم. وقال الحجاج بن أبي منيع: جلا خلق من أهل رأس العين واعتمل المسلمون أرضهم وازدرعوها بإقطاع. [2]

كانت كُردستان مسرحاً لِحروب الإمبراطوريات المُجاورة، وقد دفعَ الكُرد ضريبة حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، بل إنَّ الحروب الإسلامية ـ الإسلامية كانت في الكثير من وقائعها الدموية في مدن كردستان، فعلى سبيل المثال لا الحصر شهدت رأس العين قتالاً عنيفاً بين أنصار الحُسين مِمَن عُرفوا بالتَّوابين وجيش يزيد بن معاوية، فعن ابن سعد (فلما قتل

(1) فتوح الشام ـ الواقدي ص373
(2) فتوح البلدان ـ البلاذري ص 71

الحسين ندم سليمان بن صرد هو المسيب بن نجية الفزاري وجميع من خذل الحسين ولم يقاتل معه فقالوا ما المخرج والتوبة مما صنعنا فخرجوا فعسكروا بالنخيلة لمستهل شهر ربيع الأخر سنة خمس وستين وولوا أمرهم سليمان بن صرد وقالوا نخرج الى الشام فنطلب بدم الحسين فسموا التوابين وكانوا أربعة آلاف فخرجوا فأتوا عين الوردة وهى ناحية قرقيسياء فلقيهم جمع من أهل الشام وهم عشرون ألفا عليهم الحصين بن نمير فقاتلوهم فترجل سليمان بن صرد فقاتل فرماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم فقتله فسقط وقال فزت ورب الكعبة وقتل عامة أصحابه ورجع من بقي منهم الى الكوفة وحمل رأس سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة الى مروان بن الحكم أدهم بن محرز الباهلي وكان سليمان بن صرد يوم قتل بن ثلاث وتسعين سنة).[1]

في مقاومات سري كانيه ضد جيش الاحتلال الإسلامي لعبت المرأة الكُردستانية دوراً بارزاً في مقاومة المُحتَّلين (فلما بعث الملك شهرياض يستنجد الملوك وأرسل إلى صاحب أخلاط أرسل إليه أربعة آلاف فارس وأمر عليهم ابنته طاريون، وقال لها: أي بنية قد قدمتك على الجيش وأريد منك أن تظهري على العرب ما كنت تظهرين به على الفرسان حتى تشكري عند أمة المسيح).[2]

(1) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ص833
(2) فتوح الشام ـ الواقدي ص355

نصيبين وماردين والرها

في رحلةِ بنيامين نكتشفُ تاريخ مدينة تمتَّدْ جذورها الى بدايات التاريخ الانساني في الشرق، هي (نصيبين في بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الشام. وهي اليوم معروفة في أعالي نهر هرماس أحد روافد الخابور، لها تاريخ قديم يرتقي إلى عهد البابليين. فقد جاء ذكرها في الكتابات المسمارية Na ـ si ـ bi ـ na سماها اليونانAntiochia Mygbonia نسبة لنهر Mygdonious أي الهرماس الذي يسقيها.)،Pliny VI. 16(ثم سماها الرومان Nesibis أستولى عليها تراجان سنة 117م وأنشأ فيها ترسانة للسفائن بقصد غزو العراق عن طريق النهر. أما في التلمود فكانت باسمها الحالي سنهدرين (. وكان استيلاء العرب عليها سنة 640م. ويروي الرحالة فتاحية الذي زارها حوالي 1175 أنه وجد ثمانمائة يهودي عندهم كنيسة من بناء العزير) [1]

جاء اسمها في (الكتاب المقدس)، في سفر صموئيل الثاني (8: 3 ـ 5) وسفر الملوك الأول (11: 13 ـ 14) وكانت تدعى أيضاً مديُنة خوماْ أي مدينة الحدود،لأنها كانت تقع على حدود المملكتين الرومانية والفارسية، ومن ألقاب هذه المدينة (ترس المدن المحصنة، رئيسة ما بين النهرين، رئيسة المغرب) وينسب تأسيسها إلى نمرود الجبار.

(1) رحلة بنيامين ـ بنيامين يونة التطيلي النباري الأندلسي ص95

مدينة نصيبين مُرتبطة بطريق مُهم يصلها بالرها وحدياب (أربيل) فأرمينية باتجاه الشرق، وبسنجار والحضر في الجنوب الشرقي، وبميسان حتى الخليج العربي والهند في الجنوب، وبمنبج فحلب ودمشق، وتدمر إلى الجنوب، وكان ثمة طريق آخر عبر منبج إلى فلسطين. كل ذلك يُعطي أهمية خاصة لِمدينة نصيبين الأهمية التجارية والاقتصادية.

بحكم موقعها كحد فاصل بين المملكتين الرومانية والفارسية قديماً كانت المدينة عرضة لِلمناوشات والحروب الفارسية الرومانية.

يذكر ولتر كيغي (مدينة نصيبين كانت مهمة على الصعيد الاستراتيجي منذ عهود الحروب الفارسية ـ الرومانية، ففي القرن الأول قبل الميلاد كان الرومان قد اتخذوا منها قاعدة عسكرية لهم في حروبهم ضد الأشكان (البرث) من جانب، وضد الأرمن من جهة ثانية، وظلت المناطق المتاخمة لنصيبين تشكل الحدود الفاصلة بين الفرس الساسانيين والروم البيزنطيين، وقد اجتاح الساسانيون الممتلكات البيزنطية، مخترقين الحد الفاصل بين الإمبراطوريتين، ومسيطرين على البلاد الكردية وسوريا الكبرى، وكان ذلك في عهد كسرى أبرويز بين سنتي (603 ـ 628 م)، لكن ما لبث الإمبراطور البيزنطي هرقل أن حقق نصراً حاسماً على أبرويز سنة (7 هـ/628 م)، ثم دخل في مفاوضات ناجحة مع القائد الفارسي شهرباراز، وفرض شروط الصلح، معيداً الحدود البيزنطية إلى عهدها السابق) [1]

استولى الملك الآشوري ادد ـ نيراري على المدينة وسجلَ ذلك على رقم طيني آشوري حيث ذكر فيه انه انتصر على الملك نور ـ ادد من الآراميين وشيخ قبيلة بيت ـ تمناي، وخلال حملتين متواليتين في

(1) ولتر كيغي: بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة ص 112، 70، 69

عامي 901،900 ق.م والثالثة في عام 856 حيث حاصرها ثم اقتحمها وفتك بجيشها وأخذ منها أسرى، وجعلها ولاية تابعة للمملكة الآشورية في العراق. احتلها بعده الملك الآشوري توكولتي ـ ننورتا، حيث أصبحت ضمن ولاية آشورية تدعى (آمادو).

ظهر اسم نصيبينا كذلك في رقيم طيني مكتوب باللغة الاكدية ـ الآشورية ومحفوظ في المتحف البريطاني، يتحدث عن حروب دارت بين الجيشين الآشوري والبابلي عام 612 للاستيلاء عليها خلال فترة سقوط الامبراطورية الآشورية، وان الملك البابلي نبو ـ بلاسر هزم الجيش الآشوري فيها واستولى عليها.

أصبحت مدينة نصيبينا تابعة للدولة السلوقية التي اسمتها (انتيوك ـ مكدونيا) إذ كان الملك سلوقس الأول نيكاتور قد اعاد بناء مؤسساتها الإدارية وحصنها. وظهرت في سجلات الرومان باسم (نيزيبي أو نيسيبي).

استولى عليها البارثيون وبعد ذلك انتزعها ديكران الأول ملك أرمينيا وسماها ارفاستان، ثم استردها ارتبان الأول عام 37م، وأخيرا استولى عليها الرومان، ليتغير اسمها من نصيبينا إلى نصيبين.

عرفت نصيبين دمارا وخرابا شديدين في أطرافها سنة 359م،لدرجة إنَّ ريفها خلت مِنْ تسعين بالمائة مِنْ سُكانها، وحاولَ الامبراطور يوليانس أنْ يُقضي على المسيحية في نصيبين كما في المناطق الأخرى، وأنْ يرفع فيها عبادة الأصنام، لكنه باء بالفشل، واضطر خلفه جوفيان إلى التنازل عن مدينة الحدود (نصيبين) لقاء عقد السلام مع شابور الثاني سنة 363م. ودام هذا السلام بين المملكتين ثلاثين سنة.

يتَّحدثْ ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ عن بناء مدينة دارا

قرب نصيبين (الملك دارا بن بهمن بن إسفنديار، وكان يلقّب جهرازاد، يعني كريم الطبع، فنزل ببابل، وكان ضابطاً لملكه قاهراً لمن حوله من الملوك، يؤدّون إليه الخراج، وبنى بفارس مدينة سمّاها دارابجرد، وحذّف دوابّ البرد ورتّبها، وكان معجباً بابنه دارا ومن حبّه له سمّاه باسم نفسه وصيّر له الملك بعده. وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة. ثم ملك بعده ابنه دارا وبنى بأرض الجزيرة بالقرب من نصيبين مدينة دارا). [1]

ويصف ابن حوقل نصيبين بشكل بانورامي متناولاً جمال المدينة ووفرة زرعها وشجاعة أهلها فكتب (وكان من أجلّ بقاع الجزيرة، وأحسنِ مدنها، وأكثرِها فواكه ومياهاً ومتنزَّهاتٍ وخضرةً ونضرة، إلى سَعة غلاّت من الحبوب والقمح والشعير والكروم الرائعة الزائدة على حدّ الرخص، نصيبين، وهي مدينة كبيرة، في مستواه من الأرض، ومخرج مائها عن شِعب جبل يُعرف ببالوسا، وهو أنزه مكان بها، حتى ينبسط في بساتينها ومزارعها، ويدخل إلى كثير من دورها، ويُغدق البرك التي في قصورها، وكان لهم مع ذلك فيما بعُد من المدينة ضياع مَباخس كبار جليلة عظيمة غزيرة السائمة، دارّة الغلاّت والنتاج، معروفة الفرسان، مشهورة الشجعان، إلى ديّارات للنصارى وبِيَع وقلاّيات، تُقصد للنزهة، وتُنتجع للفرجة والفَرَج. ولم تزل على ما ذكرته مُذ أوّل الإسلام معروفة بكثرة الثمار ورخص الأسعار، تتضمّن بمائة ألف دينار، إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة، فأكبّ عليها بنو حمدان بضروب الظلم والعدوان). [2]

اشتهرت نصيبين بعقاربها القاتلة، لكنها كانت عقارب مستوردة حسبما ذكر ياقوت الحموي، فقد حاصرها الملك الفارسي أنو شروان،

(1) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ص92
(2) ابن حوقل ـ صورة الأرض ص 191

فاستعصت عليه، فأمر بجمع العقارب مِنْ أماكن أخرى، ثم أمر بوضع العقارب في قوارير، ورمي تلك القوارير على المدينة بالمنجنيق، فكانت القوارير تتَّكسر، وتخرج منها العقارب، وتنتَّشر في البيوت، وتؤذي الناس، الأمر الذي أجبر السكان على الاستسلام للفرس.

ما ذهب اليه الحموي حول عقارب نصيبين يؤكده الجاحظ (والعقاربُ القاتلةُ تكون في موضعين: بِشَهْرَزُور، وقرى الأهواز، إلا أن القواتلَ التي بالأهواز جرّارات، لم نذكر عقاربَ نصيبين، لأن أصلها ـ فيما لا يشكُّون فيه ـ من شَهْرَزُور حين حُوصِرَ أهلها ورُموا بالمجانيق، وبكيزان محشوَّة من عقارب شَهْرَزُور، حتَّى توالَدَتْ هناك، فأعْطَى القومُ بأيديهم).[1]

مثلما اشتهرت نصبين بعقاربها فان المصادر العربية تتَّحدث عَنْ جِنْ نصيبين ولقائهم الرسول، يذكر المقدسي في كتابه البدء والتاريخ قصتهم وأسمائهم (قصة الجن الأولى قالوا وقام رسول الله صلعم من خوف الليل يصلي فمر به سبعة نفر من جن نصيبين يقال أسماءهم حسا ومسا وشارصه وناحر ولاورد وسار وسان والأحقب فآمنوا به ورجعوا إلى قومهم منذرين كما قال الله عز وجل ﴿وإذا صرفنا إليك نفرا من الجن الآيات﴾.[2]

أما ابن الاثير فانه يجعلهم خمسة (وفيه ذِكر الأحْقَب وهو أحَد النَّفَر الذين جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من جِنِّ نَصِيبين. قِيل كانوا خمسة: خَسا، ومَساً، وشَاصَه، وبَاصَه، والأحْقَب).[3]

الهيثمي في مجمع الزوائد يجعلهم تسعة (قوله تعالى «وإذْ صرفنا إليكَ نفراً منَ الجنَّ» عن ابن عباس «وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن

(1) الحيوان ـ الجاحظ ص466
(2) البدء والتاريخ ـ المطهر بن طاهر المقدسي ص232
(3) النهاية في غريب الحديث والأثر ـ ابن الأثير ص212

يستمعون القرآن» الآية قال كانوا تسعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا إلى قومهم. رواه الطبراني. ولابن عباس في الأوسط قال صرفت الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين وكان أشراف الجن بنصيبين، وله في الأوسط أيضاً أن الجن الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه وهو بنخلة. ولا بن عباس في البزار كانت أشراف الجن بالموصل. فأما إسناد الطبراني في الكبير فقيه النضر أبو عمر وهو متروك، وأحد اسنادي الأوسط فيه جابر الجعفي وهو ضعيف والاسناد الآخر واسناد البزار أيضاً فيهما عفير بن معدان وهو متروك. وعن زر يعني ابن حبيش «وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنِّ يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا» قال صه قال فكانوا سبعة أحدهم زوبعة. والبزار ورجاله ثقات). [1]

يوافق ابن حجر العسقلاني الهيثمي في عدد جن نصيبن (الأرقم الجني: أحد الجن الذين استمعوا القرآن من جن نصيبين ذكر إسماعيل بن أبي زياد في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى «وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن» الآية قال: هم تسعة: سليط وشاصر وخاضر وحسا ومسا ولحقم والأرقم والأدرس وحاصر نقلته مجوداً من خط مغلطاي). [2]

يحدد العصامي سن النبي حينما قدم عليه جن نصيبين (ولما بلغ ـ عليه الصلاة والسلام ـ خمسين سنة، قدم عليه جن نصيبين، ولم يعلم بهم حتى نزلت؛ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِ﴾ الأحقاف فأسلموا وكانوا سبعة، قيل: وكانوا يهوداً، ولذا قالوا: ﴿أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى﴾ الأحقاف وفي

(1) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ الحافظ الهيثمي ص1211
(2) الإصابة في معرفة الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ص12

الترمذي: قرأ عليهم سورة الرحمن، كلما قرأ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الرحمن قالوا: ﴿لا بشيء من نعمائك ربنا نكذب﴾. [1]

بل ويُحدد مكان اللقاء (نخلة ـ بلفظ مفردة النخل ـ : موضع على يوم وليلة من مكة، وهي التي ينسب إليها بطن نخلة، الوارد فيها حديث استماع جن نصيبين لقراءته صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح بها سورةَ الجن، المعنيين بقوله تعالى: ﴿وإذ صَرَفنآ إليك نَفَراً مِنَ اَلجِنِ﴾ الأحقاف: 29، سبعة أو ثمانية: شاصر، وماص، ومنشي، وناشي، والأحقب، وعمر بن جابر، وزوبعة، وسرق؛ والأصح أنهم سبعة وأن الأحقب صفة لأحدهم).[2]

أما ابن الاثير فانه حدد وجهة الجن بانها اليمن التي تشتَّهر في المصادر العربية بانها موطن الجن، وعلى وجه الخصوص وادي مور الذي قاتل فيه علي بن ابي طالب الجن كما يعتقد القرويين في تلك المنطقة، وكما تؤكد المصادر الشيعية الى قتال علي للجن (انصرف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، راجعاً إلى مكة حتى إذا كان في جوف الليل قام قائماً يصلي، فمر به نفرٌ من الجن، وهم سبعة نفر من جن نصيبين، رائحين إلى اليمن فاستمعوا له، فلما فرغ من صلواته ولوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا). [3]

أما القرطبي فانه يتَّناول عدد الجن وهوياتهم، بل وديانتهم اليهودية قبل تحولهم الى الإسلام (وعن عمرو بن مرة قال قلت لأبي عبيدة: حضر عبد الله بن مسعود ليلة الجن؟ فقال. قال ابن عباس: كان الجن سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم النبي صلى الله عليه وسلم رسلا إلى قومهم. وقال زر بن حبيش: كانوا تسعة أحدهم زوبعة. وقال قتادة: إنهم من أهل نينوى.

(1) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ـ العصامي ص142
(2) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ـ العصامي ص241
(3) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ص271

وقال مجاهد: من أهل حران. وقال عكرمة: من جزيرة الموصل. وقيل: إنهم كانوا سبعة، ثلاثة من أهل نجران وأربعة من أهل نصيبين. وروى ابن أبي الدنيا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذا الحديث وذكر فيه نصيبين فقال: [رفعت إلي حتى رأيتها فدعوت الله أن يكثر مطرها وينضر شجرها وأن يغزو نهرها]. وقال السهيلي: ويقال كانوا سبعة، وكانوا يهودا فأسلموا، ولذلك قالوا: ﴿أنزل من بعد موسى﴾.)[1].

التحق سلمان الفارسي قبل إسلامه بصاحب نصيبين وتَعَبدَ في صومعتها قبل اسلامه (سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو يكنى أبا عبد الله ومات بالمدائن في خلافة عثمان وكان والياً عليها وروى ابن إسحق والواقدي وغيرهما أنه قال كنت ابن دهقان قرية جي من أصبهان وبلغ من حب أبي إياي أن حبسني في البيت كما تحبس الجارية واجتهدت في المجوسية حتى صرت قطن بيت النار قال وأرسلني أبي يومئذ إلى ضيعة له فمررت بكنيسة النصارى فدخلت إليهم فأعجبني صلاتهم فقلت دين هؤلاء خير من ديني فسألتهم أين أصل هذا الدين قالوا بالشام فهربت من والدي حتى قدمت الشام ودخلت على الأسقف وجعلت أخدمه وأتعلم منه حتى حضرته الوفاة فقلت إلى من توصي بي فقال قد هلك الناس وتركوا دينهم إلى رجل بالموصل فالحق به فلما قضى نحبه لحقت بالرجل الذي أوصى به فلم يلبث ذلك إلا قليلاً حتى مات فقلت إلى من توصي بي قال ما أعلم رجلاً بقي على الطريقة المستقيمة إلا واحداً بنصيبين قال فلحقت بصاحب نصيبين وتلك الصومعة اليوم باقية بعد وهي التي تعبد فيها سلمان قبل الإسلام قال واحتضر صاحب نصيبين فبعثني إلى رجل بعمورية من أرض الروم) [2]

(1) تفسير القرطبي ـ القرطبي ص3137

(2) البدء والتاريخ ـ المطهر بن طاهر المقدسي ص292

تُمثل نصيبين أحد قلاع المُقاومة الكردية التي واجهت الغزوات الإسلامية في كردستان. لا نجد في المصادر العربية تفاصيل مقاومة المدينة وأهلها حالها حال بقية مدن كردستان، لأن المُنتَّصر هو الذي يكتب التاريخ مُتحاشياً في ذلك تفاصيل جرائمه. بعض المصادر العربية تُشير الى مقاومة المدينة كما مع البلاذردي (وفتح عياض آمد بغير قتال على مثل صلح الرها. وفتح ميافارقين على مثل ذلك. وفتح حصن كفر توثا. وفتح نصيبين بعد قتالٍ على مثل صلح الرها. وفتح طور عبدين وحصن ماردين ودارا على مثل ذلك. وفتح قردي وبازبدى على مثل صلح نصبين. وأتاه بطريق الوزان فصالحه عن أرضه على إتاوة، وكل ذلك في سنة تسع عشرة وأيام من المحرم سنة عشرين. ثم سار إلى أرزن ففتحها على مثل صلح نصيبين. ودخل الدرب فبلغ بدليس، وجازها إلى خلاط وصالح بطريقها). [1]

رغم إشارة البلاذري الى احتلال المدينة بعد قتال، فانه يعود ليناقض ما ذكره حيث يفتح باب الاحتمالات بين القتال والصلح (توجّه عِياض بن غَنْم إلى فتح بلاد الجزيرة، فكانت نصيبين من جملة المدن التي فُتحت صلحاً، وقيل: بل فُتحت عَنوة). [2]

احتلال المدينة كان في سنة تسع عشرة وفق الطبري في تاريخ الرسل والملوك (وقال ابن إسحاق: كان فتح الجزيرة والرّهاء وحرّان ورأس العين ونصيبين في سنة تسع عشرة). [3]

لقد تم احتلال المدينة في زمن عمر بن خطاب (وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن معمر، عن الزهري قال: لم يبق بالجزيرة موضع

(1) فتوح البلدان ـ البلاذري ص70
(2) البلاذري ـ فتوح البلدان ص 179
(3) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص859

قدمٍ إلا فتح على عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه على يد عياض بن غنمٍ: فتح حران والرها والرقة وقرقيسيا ونصيبين وسنجار. وحدثني محمد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن مسلمة عن فرات بن سلمان، عن ثابت بن الحجاج قال: فتح عياض الرقة وحران والرها ونصيبين وميافارقين وقرقيسيا وقرى الفرات ومدائنها صلحاً وأرضها عنوة). [1]

كما فعلت عقارب شهرزور في موطنها بالجيش الغازي فإنها لعبت دورها في نصيبين وأصابت الكثيرين من جنود جيش الغزو والاحتلال (سار عياض بن غنم إلى نصيبين فامتنعت عليه فنازلها حتى فتحها على مثل صلح أهل الرها. قال كتب عامل نصيبين إلى معاوية وهو عامل عثمان على الشام والجزيرة يشكو إليه أن جماعة من المسلمين الذين معه أصيبوا بالعقارب فكتب إليه يأمره أن يوظف على كل حيز من أهل المدينة عدة من العقارب مسماة في كل ليلة ففعل فكانوا يأتون بها فيأمر بقتلها حتى قلت).

احتلال نصيبين عِنوةً يؤكده ابن منظور في كتابه مختصر تاريخ دمشق (كان أبو عبيدة بن الجراح وجه عياض بن غنم الفهري إلى الجزيرة، فوافق أبا موسى بعد فتح هذه المدائن، فمضى ومعه أبو موسى، فافتتحا حران، ونصيبين وطوائف الجزيرة عنوةً ـ ويقال: وجه أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى الجزيرة فوافق أبا موسى الأشعري قد افتتح الرها، وسميساط، فوجه خالد أبا موسى وعياضاً إلى حران فصالحا أهلها، ومضى خالد إلى نصيبين فافتتحها، ثم رجع إلى آمد، فافتتحها صلحاً وما بينهما عنوةً، وفيها: فتح جنديسابور، والسوس صلحاً، صالحهم أبو موسى). [2]

ما أورده ابن منظور يؤكده في مكان آخر حيث كتب (قال خليفة:

(1) فتوح البلدان ـ البلاذري ص70

(2) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص1731

إن أبا موسى الأشعريّ افتتح الرّها وسميساط، وما والاهما عنوة. وكان أبو عبيدة بن الجرّاح وجّه عياض بن غنم الفهريّ إلى الجزيرة فوافق أبا موسى بعد فتح هذه المدن، فمضى ومعه أبو موسى فافتتحا حرّان ونصيبين وطوائف الجزيرة عنوة. ويقال: وجّه أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى الجزيرة فوافق أبا موسى قد افتتح الرّها وسميساط، فوجّه خالد أبا موسى وعياضاً إلى حرّان فصالحا أهلها، ومضى خالد إلى نصيبين، فافتتحها، ثم رجع إلى آمد، فافتتحها صلحا، وما بينها عنوة.)[1]

كأي جيش مُحتَّل أقدمت الخلافة الإسلامية وفي مُختَّلف تقلُباتها بالعملِ على التغيير الديموغرافي للمناطق المُحتلة، وكانت نصيبين جزء من المشروع الاستيطاني العربي، حيث يذكر ابن منظر كيفية قيام معاوية بن ابي سفيان بتوطين القبائل العربية في نصيبين والرها الكردستانيتين (قال محمد بن سعد في الطبقة الرابعة: عدي بن عميرة بن فروة بن زرارة بن الأرقم، وبنو الأرقم بطن لهم مسجد بالكوفة، لما قدم علي بن أبي طالب عليه السلام الكوفة جعل أصحابه يتناولون عثمان، فقالت بنو الأرقم: لا نقيم ببلد يشتم فيه عثمان. فخرجوا إلى الجزيرة إلى الرها، وخرج معهم من ولدوا من كندة، فخرج بنو أحمر بن عمرو وبعض بني الحارث بن عدي، وبنو الأحزم من بني حجر بن وهب بن ربيعة، فقدموا على معاوية بن أبي سفيان، فحمد معاوية الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل الشام هذا حي عظيم من كندة قدموا علي، ناقمين على علي بن أبي طالب عليه السلام وكان إذا قدم عليه أهل العراق أنزلهم الجزيرة مخافة أن يفسدوا أهل الشام، فأنزلهم نصيبين، ثم كتب إليهم: إني أتخوف عليكم عقارب نصيبين. فأنزلهم الرها وأقطعهم بها قطائع) [2]

(1) مختصر تاريخ دمشق ـ ابن منظور ص1844

(2) مختصر تاريخ دمشق ـ ابن منظور ص2548

دفع الكُرد وبقية الشعوب التي عاشت في كردستان ضريبة الصراعات الإسلامية ـ الإسلامية، بين فِرقها ونِحلها المُختَّلفة. يذكر ابن الأثير ما أقدم عليه الوليد بن طريف بن الصلت الشيباني وهو من زعماء الخوارج الشُّراة، ومن أشدهم بأساً وأعظمهم صولةً من جرائم في سريه كاني. كتب الذهبي (وأقبل إلى رأس العين فلقي تاجراً نصرانياً فقتله وأخذ ماله، ثم أتى داراً فعاث ونهي، وقصد ميافارقين وقد كثر جيشه، ففدوها منه بعشرين ألفاً. ثم دخل أرزن وقتل رجلاً من وجوه أهلها من بني شيبان، ثم قصد خلاط وحاصرها عشرين يوماً فصالحوه على ثلاثين ألفاً، ثم سار إلى ناحية أذربيجان. وسار في جيشه إلى حلوان، فالتقاه الأمير الحرشي، فهزم عسكر الحرشي. ثم قصد حولايا وبلدة أخرى، ففدوها منه بمائة ألف. ثم أتى نصيبين، فاستباحها وقتل خمسة آلاف نفس، واستفحل شره إلى أن سار إليه يزيد بن مزيد فالتقاه، فظفر به يزيد وقتله، وتمزق جمعه في سنة تسع وسبعين ومائة).[1]

لنصيبين مكانة كبيرة في الشعر العربي، كتب ابن بطوطة في رحلته:

طابت نصيبين لي يوما وطبت لها يا ليت حظي من الدنيا نصيبين

و كتب التمار في وصف نصيبين:

أرض كأن رياضها أبداً بماء المسك تسقى

وكأن تربة أرضها اج تذبت من الكافور عرقا[2]

نصيبين حالها حال شهرزور تعرضت الى هجمة عنصرية في مجال القصيدة حيث كتب أحدهم

(1) مختصر تاريخ دمشق ـ ابن منظور ص2262

(2) تاريخ الإسلام ـ الذهبي ص1340

نصيبين وظاهرها مليح المنظر وباطنها قبيح المخبر

وقال آخر يذم نصيبين فقال:

نصيب نصيبين من ربها ولاية كل ظلوم غشوم

فباطنها منهم في لظى وظاهرها من جنان النعيم[1]

يصف الشاعر ابن عتبان في قصيدته عقلية وسلوكية البداوة لِجيش الاحتلال، وما مارسه هذا الجيش مِنْ جرائم حرب في تلك المدينة الكردستانية (بعث أبو عبيدة من الشام فقدم عبد الله بن عبد الله بن عتبان فسلك على دجلة حتى إذا انتهى إلى الموصل عبر إلى بلد وهي بلط حتى إذا انتهى إلى نصيبين أتوه بالصلح فكتب بذلك إلى عياض فقبله فعقد لهم عبد الله بن عبد الله بن عتبان وأخذوا ما أخذوا عنوة ثم أجروا مجرى أهل الذمة قال عند ذلك ابن عتبان:

ألا من مبلغ عني بجيراً فما بيني وبينك من تعادي

فإن تقبل تلاق العدل فينا فأنسى ما لقيت من الجهاد

وإن تدبر فما لك من نصيب نصيبين فتلحق بالعباد

وقد ألقت نصيبين إلينا سواد البطن بالخرج الشداد

لقد لقيت نصيبين الدواهي بدهم الخيل والجرد الوراد[2]

العلاقة العدائية بين البدوي المُحتَّل لكردستان ومدنها قد تتغير نتيجة لِعلاقة انسانية قد تنشأ بين المقاتل البدوي وفتاة من الشعب المُحتَّل كما أنشد أحد الظرفاء قائلا:

(1) البصائر والذخائر ـ أبو حيان التوحيدي ص 488

(2) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص1731

فـي ماردیـن حماهـا اللـه لـي قمـر لـولا الضـرورةُ مـا فارقتـه نفسـا

يـا قـوم قلبـي عـــراقي يرق لـــه وقلبـه جبلـي قـد قَسـا وعَسـا[1]

أما ماردين وقلعتها المشهورة وهي وفق وصف ابن بطوطة أجمل مُدن الإسلام كما وصفها في رحلته (وأهل سنجار أكراد، ولهم شجاعة وكرم، وممن لقيته بها الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله الكردي أحد المشايخ الكبار صاحب كرامات يذكر عنه أنه لا يفطر إلا بعد أربعين يوماً ويكون إفطاره على نصف قرص من الشعير، لقيته برابطة بأعلى جبل سنجار ودعا لي وزودني بدراهم، لم تزل عندي إلى ان سلبني كفار الهنود. ثم سافرنا إلى مدينة دارا، وهي عتيقة كبيرة بيضاء المنظر، لها قلعة مشرفة، وهي الآن خراب لا عمارة بها وفي خارجها قرية معمورة، بها كان نزولنا، ثم رحلنا منها فوصلنا إلى مدينة ماردين، وهي عظيمة في سطح جبل من أحسن مدن الإسلام وأبدعها وأتقنها وأحسنها أسواقاً وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها من الصوف المعروف بالمرعز ولها قلعة شماء من مشاهير القلاع في قنة جبلها. قال ابن جزي: قلعة ماردين هذه تسمى الشهباء وإياها عنى شاعر العراق صفي الدين عبد العزيز بن سراي الحلي بقوله في مسمطته:

فـدع ربـوع الحـلة الفيحـــاء وازور بالعيـس عـــن الـــزوراء

ولا تـقـف بـالـموصـل الـحـدبـاء إن شـهـاب الـقـلعة الـشـهـباء[2]

ما ذهب اليه ابن بطوطة حول ماردين وقلعتها يتناوله القزويني في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد (قلعة مشهورة على قلة جبل بالجزيرة، ليس على وجه الأرض قلعة أحسن منها ولا أحكم ولا أعظم، وهي مشرفة على

(1) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص1731

(2) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص1537

دنيسر ودارا ونصيبين، وقدامها ربض عظيم فيه أسواق وفنادق ومدارس وربط. وضعها وضع عجيب ليس في شيء من البلدان مثلها، وذلك أن دورهم كالدرج كل دار فوق أخرى، وكل درب منها مشرف على ما تحته، وعندهم عيون قليلة، جل شربهم من الصهاريج المعدة في دورهم).[1]

يؤكد الحموي في معجم بلدانه ما ذهب اليه ابن بطوطة حيث كتب (ماردين: قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة شرفة على دُنيسر وداراً ونصيبين، وذلك الفضاء الواسع وقُدامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات، ومدارس ورُبط وخانقاهات ودورهم فيها كالدرج كل دار فوق الأخرى، وكل درب منها يشرف على ما تحته من الدور ليس دون سطوحهم مانع، وعندهم عيون قليلة الماء وجل شربهم من صهاريج معدة في دورهم والذي لا شك فيه أنه ليس في الأرض كلها أحسن من قلعتها ولا أحصن ولا أحكم، وقد ذكرها جرير في قوله:

يا خُـزَ تَـغْـلِـبَ إن اللؤم حالفكم مـا دام فـي ماردين الزيـت يُعتصـرُ[2]

كتب ابن الأثير (وفتح عياض بن غنم طُور عبدين، وحصن ماردين ودارا على مثل صلح الرها، وقد ذهب بعض الناس إلى أنها أحدثت عن قريب من أيامنا، وأنه شاهد موضع القلعة ووجد به من شاهده، وليس له بينة وهذا يكذبه قول جرير: قالوا: وكان فتحها، وفتح سائر الجزيرة في سنة 19، وأيام من محرم سنة 20 للهجرة في أيام عمر بن الخطاب).[3]

لَمْ تختَّلف ماردين عَنْ بقية المدن الكردستانية في مقاومة الجيوش الإسلامية، يذكر أبن الأثير مقاومات المدن الكردستانية لجيش عياض بن

(1) رحلة ابن بطوطة ـ ابن بطوطة ص111
(2) آثار البلاد وأخبار العباد ـ القزويني ص103
(3) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص1537

غنم (وكان عياض يغزو ويعود إلى الرهاء، وفتح سميساط وأتى سروج ورأس كيفاء والأرض البيضاء فصالحه أهلها على صلح الرهاء. ثم إن أهل سميساط غدروا، فرجع إليهم عياض فحاصرهم حتى فتحها، ثم أتى قريات على الفرات، وهي جسر منبج وما يليها، ففتحها وسار إلى رأس عين، وهي عين الوردة، فامتنعت عليه وتركها وسار إلى تل موزن، ففتحها على صلح الرهاء سنة تسع عشرة، وسار إلى آمد فحصرها، فقاتله أهلها ثم صالحوه على صلح الرهاء، وفتح ميافارقين على مثل ذلك، وحصن كفرتوثا، فسار إلى نصيبين فقاتله أهلها ثم صالحوه على مثل صلح الرهاء، وفتح طور عبدين وحصن ماردين). [1]

تفاصيل إقتحام قلعة المدينة يكشفه الواقدي (قال الراوي: فلما كان الصبح أقبل الوالي وخواصه ليصلوا وضربت النواقيس وأتى القس ليفتح باب المذبح ويقرب القربان، فلما فتح الباب خرج عبد الله بن غسان وأصحابه الأربعون وكبروا تكبيرة واحدة ارتعدت لها القلعة وما فيها وبذلوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم واحتووا على القلعة وما فيها وسمع أهل الربض التكبير فعلموا أنهم قد ملكوا القلعة فولوا على وجوههم هاربين، قال فلما سمعت مارية التكبير والصياح علمت أن قلعة أبيها قد ملكت فغلقت أبواب قلعتها وأرسلت من تثق به إلى عياض بن غنم وأخبرته بما جرى فشكر الله على ذلك ووصل أكثر المنهزمين إلى الملك شهرياض وأعلموه أن قلعة ماردين ملكها العرب).[2]

أما الرها ووفق المصادر الآرامية فأن بانيها هو الملك نمرود، وكان ذلك في زمن إبراهيم الخليل حوالي عام 2000 ق.م. ومن ثم جدد بناؤها

(1) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص1537
(2) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ص440

سلوقس نيكاتور عام 304 ق.م وقد سّماها باسم أبنته «إدِسّا» تيمناً بعاصمة مقدونيا اليونانية إدِسّا. وعرفت عند الآراميين السريان بأورهوي ودعيت عند العرب بالرّها، وتعرف حالياً في تركيا بأورفا، وقد سمّاها العثمانيون في القرن الخامس عشر بهذا الإسم.

تأسست مملكة الرها عام 132 ق.م على يد الملك الآرامي ـ أريو ـ الذي حكمها خمس سنوات وذلك من 132 ـ 127 ق.م. واستمرت هذه المملكة من 132 ق.م ولغاية 242 م أي لمدة 374 سنة وقد تعاقب على حكمها خلال هذه الفترة حوالي ثلاثون ملكاً، وكان يلقب معظمهم باسم أبجر، لذا قيل لهم بالأباجرة، ومعنى أبجر أي (أعرج) في اللغة الآرامية، وفي العربية هو اسم يطلق على شخص مفتوح الصرة أو ذو كرش كبير.

تشير المصادر التاريخية الى أن إبراهيم عليه السلام ولد بها وواجه النمرود فيها، وإن أيوب عليه السلام عاش سنوات ابتلائه فيها، وأن يعقوب عليه السلام عاش وتزوج بها.

فيها قلعة الرها، وهي مبنية مُنذ القدم، إضافة الى الحوض الأسطوري للسمكة المباركة، حيث أُلقِي ابراهيم في النار بأمر من نمرود. اضافة الى وجود أحد عجائب الدنيا في عصره (كان يقال عجائب الدنيا ثلاث: منارة الاسكندرية، وقنطرة سنجة، وكنيسة الرها).[1]

أوصى فيهم الرسول كما ورد في السيرة النبوية (عن عبد الرحمن بن عبد الله عن هزان بن سعيد قال: أتيت بيت المقدس فلقيت بها علي بن عبد الله بن العباس فسلمت عليه، فقال لي: من أنت؟ قلت: رجل من أهل الرها، قال: مرحباً برجل من قوم أوصى بهم رسول الله صلى الله عليه

(1) فتوح الشام ـ الواقدي ص 352

وسلم، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوصيكم بالرهاويين والدوسيين والداريين خيراً). [1]

يتناول السمعاني أسباب تسميتها بالرها، ويذكر إنَّ ماني مؤسس الديانة المانوية التي تؤمن بالثنوية، والذي يصفه بالزنديق هو من أهل المدينة (سميت الرهاء بالرها بنت السندي بن مالك بن دغر بن بويبة بن غيفا بن مدين بن إبراهيم وقيل ماني الزنديق من بني الرها، وقيل سميت الرها بالرهاء بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج، ويقال بناها بعض ملوك الروم، وبناؤها عجيب وهي من أكبر كنائس النصارى ويقال إن ارتفاعه ثمانون ذراعاً وهي على أساطين من رخام).[2]جمال المدينة وعمرانها جعل الشاعر المرّار الأسدي يكتب:

بَرِئـت مـن المنـازل غيـر شـوق إلـى الـدار التـي بلـوَى أبـان

ومـن وادي القَنـان وأيـن منـى بـدارات الرهـا وادي الـقنان[3]

يصف البلاذري في كتابه فتوح البلدان مُقاومة الرها لِجيش عياض بن غنم وكيفية التَّعامل مع السكان في ضوء كتاب عياض لأهل الرها (فأتى الرها وقد جمع له أهلها، فرموا المسلمين ساعة، ثم خرجت مقاتلتهم فهزمهم المسلمون حتى ألجئوهم إلى المدينة، فلم ينسبوا أن طلبوا الصلح والأمان، فأجابهم عياض إليه وكتب لهم كتاباً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب عياض بن غنم لأسقف الرها. إنكم أن فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدوا إلي عن كل رجل ديناراً ومديى قمح فأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم. وعليكم إرشاد الضال، وإصلاح الجسور،

(1) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ المقدسي ص53
(2) السيرة النبوية ـ محمد بن إسحاق ص100
(3) الأنساب ـ السمعاني ص650

والطرق، ونصيحة المسلمين. شهد الله وكفى بالله شهيدا». وحدثني داود بن عبد الحميد عن أبيه، عن جده أن كتاب عياض لأهل الرها: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عياض بن غنم ومن معه من المسلمين لأهل الرها. أني أمنتهم على دمائهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم ومدينتهم وطواحينهم إذا أرادوا الحق الذي عليهم، ولنا عليهم أن يصلحوا جسورنا ويهدوا ضالنا. شهد الله وملائكته والمسلمون). [1]

النزوح الجماعي لِسكان حران الى مدينة الرها يؤكد حالة الخوف والفزع مِنْ جيش يدعي السلام والحرية مِنْ جهة، ويؤكد أكذوبة فتحها صُلحاً، فأي صلح هو بين سكان مدينة هربت لمدينة أخرى وعقدت وثيقة مع جيش مُحتَّل يُسمح بموجبها العودة الى ديارهم صاغرين (حدثني محمد عن الواقدي عن ثور بن يزيد، عن راش بن سع أن عياضاً افتتح الجزيرة ومدائنها صلحاً وأرضها عنوة. وقد روى أن عياضاً لما أتى حران من الرقة وجدها خالية قد انتقل أهلها إلى الرها. فلما فتحت الرها صالحوا عن مدينتهم وهم بها. وكان صلحهم مثل صلح الرها). [2]

يتناول البلاذري في كتابه فتوح البلدان اقتحام المدينة ومقاومة سكانها التي تم قمعها، ومن ثم فروض شروط الجيش المُنتَّصر بما فيها الجزية والخراج، ناهيك عَنْ عمليات النهبِ والسرقةِ التي رافقت الفتوحات الإسلامية (وأقبل عياض في عسكره حتى نزل باب الرها، وهو أحد أبوابها، في تعبئة. فرمى المسلمون ساعة حتى جرح بعضهم. ثم إنه تأخر عنهم لئلا تبلغه حجارتهم وسهامهم، وركب فطاف حول المدينة ووضع على أبوابها روابط، ثم رجع إلى عسكرة وبث السرايا. فجعلوا يأتون بالأسرى من

(1) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص707
(2) فتوح البلدان ـ البلاذري ص70

القرى وبالأطعمة الكثيرة، وكانت الزروع مستحصدة. فلما مضت خمسة أيام أو ستة وهم على ذلك أرسل بطريق المدينة إلى عياض يطلب الأمان. فصالحه عياض على أن أمن جميع أهلها على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم. وقال عياض: الارض لنا قد وطئناها وأحرزناها، فأقرها في أيديهم على الخراج ودفع منها ما لم يرده أهل الذمة ورفضوه إلى المسلمين على العشر، ووضع الجزية على رقابهم فألزم كل رجل منهم ديناراً في كل سنة، وأخرج النساء والصبيان، ووظف عليهم مع الدينار أففزة من قمح وشيئاً من زيت وخلٍ وعسل، فلما ولى معاوية جعل ذلك جزيةً عليهم، ثم إنهم فتحوا أبواب المدينة وأقاموا للمسلمين سوقاً على باب الرها، فكتب لهم عياض: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عياض بن غنم أهل الرقة يوم دخلها. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم لا تخرب ولا تسكن إذا أعطوا الجزية التي عليهم ولم يحدثوا مغيلة، وعلى أن لا يحدثوا كنيسة ولا بيعة، ولا يظهروا ناقوساً ولا باعوثاً ولا صليباً. شهد الله وكفى بالله شهيدا» وختم عياض بخاتمه). [1]

الوثيقة العُمرية والتي تُمثل أبشع وثيقة صلح بين الجيش المُحتَّل وسكان المُدن المُحتَّلةِ كانت حاضرة في جدول أعمال الجيوش الإسلامية. عن ابن منظور في تاريخ دمشق (ولما نزل أبو عبيدة منبج بعث عياض بن غنم في عشرين فارساً، فأتى الرها وقد اجتمع بها أهل الجزيرة من الأنباط، فأتاها ابن غنم، فوقف عند بابها الشرقي على فرس أحمر محذوف قال من سمع عياضاً وهو يدعوهم إلى الإسلام: فأبوا عليه، فعرض عليهم الجزية، فأقروا وقد عرفوا شرط عمر بن الخطاب على أهل الشام فقالوا: نقر، على أن نشترط، قال: نعم، فاشترطوا كنائسهم التي في أيديهم على

(1) فتوح البلدان ـ البلاذري ص70

أن يؤدوا خراجها وما لجأ إليها من طائر وصلمهم التي في كنيستهم الصلم: الخشبة التي يزعمون أن عيسى بن مريم صلب عليها، لم يقل صلبهم وسور مدينتهم. قال عياض: فإني أشترط أنا أيضاً. فاشترط عليهم أن يشاطرهم منازلهم وينزل فيها المسلمون، وعلى أن يحدثوا كنيسة إلا ما في أيديهم، وعلى ألا يرفعوا صليباً، ولا يضربوا بناقوس إلا في جوف كنيسة، وأن يقروا ضيف المسلمين يوماً وليلة، وعلى أن يحملوا راجل المسلمين من رستاق إلى رستاق، وعلى ألا يقروا خنزيراً بين ظهراني المسلمين، وعلى أن يناصحوا المسلمين فلا يغشوهم ولا يمالئوا عليهم عدواً، فمن وفى لنا وفينا له ومنعناه مما نمنع منه نساءنا وأبناءنا، ومن انتهك شيئاً من ذلك، استحللنا سفك دمه، وسباء أهله وماله. فقالوا: اكتب بيننا وبينك كتاباً، فتورك عياض على فرسه. فلما فرغ قالوا: اشهد لنا، فكتب: شهد الله وملائكته، وكفى بالله شهيداً. ودفع الكتاب إليهم. فدخل في شرطهم جميع أهل الجزيرة. وأما الأرض ففيء للمسلمين، وأنتم عمالهم فيها). [1]

بعد احتلال الرها من قبل عياض بن غنم تعاقب الخُلفاء المسلمين على حكمها وكأنها ضيعة موروثة لِخلفاء تعاملوا كأية قوة احتلال وبأبشع صورها، فعن الحموي (كفرجدَا. قرية من قرى الرها كانت ملكاً لولد هشام بن عبد الملك. وقيل: هي من قرى حران).[2]

(1) فتوح البلدان ـ البلاذري ص69

(2) مختصر تاريخ دمشق ـ ابن منظور ص3922

جلولاء الدم

كانت جلولاء تسمّى بـ (گولّاله) أو (گولّ لاله) باللغة الكردية ومعناه (الورود الحمراء) وذكر الاستاذ محمد خالد علي السبهان، في دليل أسماء المدن العراقية أن اسم جلولاء يعني: صلاة الاله، قربان الاله. أما في عهد الدولة العثمانية فقد أطلقوا عليها تسمية (قرەغان) اشارة الى السائل الزيتي الأسود (النفط).

سميت بجلولاء في سنة 16هـ/637م بعد المعركة التي وقعت فيها بين الجيوش الإسلامية من جهة، والجيش الفارسي وسكان المنطقة من جهة أخرى. تقول بعض الروايات إنَّ قتلى الفرس بلغ مائة الف في هذه الواقعة أكثرهم كانوا من الأكراد، لان سكان تلك المنطقة التي شكلوا مِنها الجيش كانوا أكراداً إضافة الى المدنيين الكرد الذين دفعوا ضرائب تلك الحروب العبثية. دون الإشارة لِخسائر الجيوش الإسلامية، ويذكُر الذهبي في كتابه (العبر في خبر من غبر) بعض احداث ونتائج تلك المعركة (وكان بعضهم يسميها فتح الفتوح وسميت جلولاء لما تجللها من الشر. وبلغت الغنائم ثمانية عشر ألف ألف، وقيل ثلاثين ألف ألف). [1]

ظلت جلولاء حتى عام 1870 قرية تابعة الى ولاية شهرزور، (في كانون الاول سنة1870 صدر نظام ادارة الايالات وعلى اساس القانون

(1) العبر في خبر من غبر ـ الذهبي ص4

الجديد، وفي زمن مدحت باشا وولايته العراق (1869 ـ 1872) فقد قسم العراق الى ايالتين هما بغداد والموصل فدخلت كردستان العراق برمتها الى ولاية الموصل باستثناء خانقين وتوابعها)[1] وبذلك انفصلت جلولاء مرة أخرى عن كردستان لأنها كانت من توابع خانقين التي اصبحت تابعة الى سنجاغ (زنك آباد) والتي بدورها أصبحت تابعة الى ولاية بغداد.

لقد كانت السَبايا والغنائم هي المُحركة الرئيسية المُوجّهة لِبوصلة الجيوش الإسلامية ومركز خلافتها، ومنهم القعقاع الذي قادَ الحرب في جلولاء وخانقين (وانتهى القعقاع من الوجه الذي زحف منه إلى باب الخندق، وأمر منادياً فنادى: يا معشر المسلمين، هذا أميركم قد دخل الخندق، فأقبلوا إليه، ولا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله، فحملوا وهم لا يشكون أن هاشماً في الخندق، فإذا هم بالقعقاع، فانهزم الفرس يمنة ويسر، وأتبعهم المسلمون، فلم يفلت منهم إلا القليل، وقتل منهم يومئذ مائة ألف، فجللت القتلى المجال، وما بين يديه وما خلفه فسميت جلولاء بما جللها من قتلاهم، وسار القعقاع في الطلب حتى بلغ خانقين، فأدرك مهران الرازي فقتله، وأدرك الفيرزان، فنزل وتوغل في الجبل فنجا، وأصاب القعقاع سبايا فأرسلهن إلى هاشم فقسمهن، فاستولدهن المسلمون، وممن ينسب إلى ذلك السبي أم الشعبي). [2]

أفرزت حروب جمع الغنائم وتراكم السبايا في دولة الخلافة الإسلامية فترة الفتوحات «القصيدة العنصرية» على إيقاع ساديتها المُفرطة في التَّوحش.

أغلب قادة جيوش الاحتلال كتبوا قصائد حرب كما الحال مع القعقاع

(1) كركوك وتوابعها حكم التاريخ والضمير ـ د. كمال مظهر احمد ج1 ص39
(2) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ص435

(وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة 16 فاستباحهم المسلمون فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون، وقال سيف قتل الله عز وجل من الفرس يوم جلولاء مائة ألف فجللت القتلى المجال ما بين يديه وما خلفه فسميت جلولاء لما جللها من قتلاهم فهي جلولاء الوقيعة. قال القعقاع بن عمرو فقصرها مرة ومدها آخرى:

ونحن قتلنا في جلولا أثابراً ومهران إذ عزت عليه المذاهبُ
ويوم جلولاءِ الوقيعة أفنيت بنو فارس لما حوَتها الكتائبُ[1]

وقال أبو بجيذ في ذلك:

ويوم جلولاء الوقيعة أصبحت كتائبنا تردى بأسد عوابس
ففضّت جموع الفرس ثمّ أنمتهم فتبا لأجساد المجوس النّجائس!
وأفلتهنّ الفيرزان بجرعة ومهران أردت يوم حزّ القوانس
أقاموا بدار للمنّية موعد وللتّرب تحثوها خجوج الرّوامس[2]

كان احتلال جلولاء في سنة تسع عشرة (قال أبو جعفر: قال أبو معشر ـ فيما حدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ، عمّن حدّثه، عن إسحاق بن عيسى عنه: إنّ فتح جلولاء كان في سنة تسع عشرة على يدي سعد، وكذلك قال الواقديّ. وقال ابن إسحاق: كان فتح الجزيرة والرّهاء وحرّان ورأس العين ونصيبين في سنة تسع عشرة).[3]

تؤكد المصادر العربية والإسلامية على إنَّ إقليم الجبال الذي يَشمل مناطق كردستان وأغلب المناطق الفارسية أُخذت عنوةً فعَنْ الدينوري(وأما

(1) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص509
(2) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص827
(3) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص859

الجبل فإنه افتتح كله عنوة في وقعة جلولاء ونهاوند على يدي سعد النعمان بن مقرن). [1]

يختَّلف البلاذري مع الطبري حول سنة احتلال جلولاء، حيث يؤكد في فتوح البلدان إنها كانت في آخر سنة ست عشرة، ثم إن المسلمين حملوا حملةً واحدةً قلعوا بها الأعاجم عن موقفهم وهزموهم، فولوا هاربين، وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلا ذريعاً حتى حال الظلام بينهم. ثم انصرفوا إلى معسكرهم، وجعل هاشم بن عتبة جرير بن عبد الله بجلولاء في خيلٍ كثيفةٍ ليكون بين المسلمين وبين عدوهم.

فارتحل يزد جرد من حلوان وأقبل المسلمون يغيرون في نواحي السواد، من جانب دجلة الشرقي. فأتوا مهروذ، فصالح دهقانها هاشماً على جريب من دراهم، على أن لا يقتل أحداً منهم. وقتل دهقان الدسكرة وذلك أنه اتهمه بغشٍ المسلمين. وأتى البندنيجين، فطلب أهله الأمان على أداء الجزية والخراج، فأمنهم. وأتى جرير بن عبد الله خانقين، وبها بقيةٌ من الأعاجم، فقتلهم. ولم يبق من سواد دجلة ناحية، إلا غلب عليها المسلمون وصارت في أيديهم.

وقال هشام بن الكلبي: كان على الناس يوم جلولاء من قبل سعد عمرو بن عتبة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وأمه عاتكة بنت أبي وقاص.

قالوا: وانصرف سعد بعد جلولاء إلى المدائن. فصير بها جمعاً، ثم مضى إلى ناحية الحيرة.

وكانت وقعة جلولاء في آخر سنة ست عشرة). [2]

---

(1) المعارف ـ ابن قتيبة الدينوري ص129

(2) فتوح البلدان ـ البلاذري ص107

كان قتالاً شرساً بين حضارة لها جذورها التاريخية وبداوة بربرية حَملَت سيوف نَهبِها والقتل والسَبي (وبلغ العجم أن العرب قد أتاهم المدد، فتأهبوا للحرب، وخرجوا؛ ونهض إليهم عمرو بن مالك في المسلمين، وعلى ميمنته حجر بن عدي، وعلى ميسرته زهير ابن جوية، وعلى الخيل عمرو بن معدي كرب، وعلى الرجالة طليحة ابن خوليد؛ فتزاحف الفريقان، وصبر بعضهم لبعض، فتراموا بالسهام حتى أنفدوها، وتطاعنوا بالرماح حتى كسروها، ثم أفضوا إلى السيوف وعمد الحديد؛ فاقتتلوا يومهم ذلك كله إلى الليل؛ ولم يكن للمسلمين فيه صلاة إلا إيماء والتكبير، حتى إذا أصفرت الشمس أنزل الله على المسلمين نصره، وهزم عدوهم، فقتلوهم إلى الليل، وأغنمهم الله عسكرهم).[1]

إنهارت معنويات الجانب الفارسي والكردي، وواصل الجيش الغازي تقدمه بحثاً عَنْ غنائم وسبايا جدد، فتوجهوا من جلولاء الى خانقين (فلما هزم اللّه عز وجل أهل جلولاء، أقام هاشم بن عتبة بجلولاء، وخرج القعقاع بن عمرو في آثار القوم إلى خانقين فأدرك سبيَاَ من سبيهم).[2]

على خلاف قوانين الحرب وما يدَّعيه حَملَة الرسالة بحقوقِ المُقاتلين وبالأخص الأسرى، فان الجيش الإسلامي ارتكب بشاعات تم توثيق بعضها في المصادر العربية ومنها قطع رؤوس الأسرى. يذكر الدينوري تلك الحادثة التي لَمْ تكُن الوحيدة (فلما توافت العساكر عند أبي موسى ارتحل بالناس، وسار حتى أناخ على تستر، وتحصن الهرمزان منه في المدينة، ثم تأهب للحرب، وخرج إلى أبي موسى؛ وعبي أبو موسى المسلمين، فجعل على ميمنته البراء بن مالك أخا أنس بن مالك، وعلى ميسرته مجزأة بن ثور البكري، وعلى جميع الناس أنس بن مالك، وعلى الرجالة سلمة بن رجاء.

(1) الأخبار الطوال ـ أبو حنيفة الدينوري ص49

(2) المنتظم ـ ابن الجوزي ص496

وتزاحف الفريقان فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى كثرت القتلى بين الفريقين، ثم أنزل الله نصره، فانهزمت الأعاجم حتى دخلوا مدينة تستر، فتحصنوا بها؛ وقتل البراء بن مالك ومجزأة بن ثور، وقتل من الأعاجم في المعركة ألف رجل، وأسر منهم ستمائة أسير، فقدمهم أبو موسى، فضرب أعناقهم).[1]

دفع الكُرد وبحكم موقعهم الجغرافي وعبر التاريخ ضريبة صراع الامبراطوريات والحضارات، فسكان القرى والمدن الكردية هم الأكثر تضرراً في تلك الحروب. يذكر ابن الأثير كيف هرب الكرد الى الجبال خوفاً مِنَ الجيش الغازي، وكيف اجبروا على النزول حينما لَمْ يجدوا بديلاً (ولما رجع هاشم من جلولاء إلى المدائن بلغ سعداً أن آذين بن الهرمذان قد جمع جمعاً وخرج بهم إلى السهل، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر ابعث إليهم ضرار بن الخطاب في جند واجعل على مقدمته ابن الهذيل الأسدي وعلى مجنبتيه عبد الله بن وهب الراسي والمضارب بن فلان العجلي فأرسل إليهم ضرار بن الخطاب في جيش، فالتقوا بسهل ماسبذان فاقتتلوا، فأسرع المسلمون في المشركين، وأخذ ضرار آذين أسيراً فضرب رقبته. ثم خرج في الطلب حتى انتهى إلى السيروان، فأخذ ماسبذان عنوةً، فهرب أهلها في الجبال، فدعاهم فاستجابوا له، وأقام بها حتى تحول سعد إلى الكوفة، فأرسل إليه فنزل الكوفة واستخلف على ما سبذان ابن الهذيل الأسدي، فكانت أحد فروج الكوفة). [2]

يمتَّزج دم المُقاتلين بغنائمِ حروب النهبِ والمُنتَّصر يعدُ الغنائم ويوزع السبايا ليكشف بذلك أكذوبة الفتح بِغرض نشر الدين (وشاع في

(1) الأخبار الطوال ـ أبو حنيفة الدينوري ص50
(2) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ص 436

الناس أنه أخذ في الخندق، فحمل الناس حملة واحدة انهزم المشركون لها، وافترقوا ومرّوا بالجسرة التي تحصنَوا بها، فعقرت دوابهم فترجلوا ولم يفلت منهم إِلا القليل. يقال: إِنه قتل منهم يومئذ مئة ألف، واتبعهم القعقاع بالطلب إِلى خانقين، وأجفل يزدجرد من حلوان إِلى الريّ، واستخلف عليها خشرشوم وجاء القعقاع إِلى حلوان فبرز إِليه خشرشوم وعلى مقدمته الرمي فقتله القعقاع وهرب خشرشوم من ورائه، وملك القعقاع حلوان وكتب إلى عمر بالفتح واستأذنه في اتباعهم فأبى وقال: وددت أن بين السواد والجبل سداً حصيناً من ريف السواد، فقد آثرت سلامة المسلمين على الأنفال، وأُحْصِيَت الغنيمة فكانت ثلاثين ألف ألف، فقسمها سلمان بن ربيعة. يقال إِنه أصاب الفارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب، وبعثوا بالأخماس إِلى عمر مع زياد ابن أبيه). [1]

في رواية الدينوري تتوضح صورة البدوي المُتَّخلف الذي يغزو الحضارة ولا يميز بين مفرداتها (قالوا: ولما نظرت الفرس إلى العرب قد أقحموا دوابهم الماء وهم يعبرون، تنادوا ديوان آمدند، ديوان آمدند، فخرج خرزاد في الخيل حتى وقف على الشريعة، ونادى: يا معشر العرب، البحر بحرنا، فليسلكم أن تقتحموه علينا. وأقبلوا يرمون العرب بالنشاب، واقتحم منهم ناس كثير الماء، فقاتلوا ساعة، وكاثرتهم العرب، فخرجت الفرس من الشريعة، وخرج المسلمون وقاتلوهم ملياً؛ وانهزمت العجم حتى دخلت المدائن، فتحصنوا فيها، وأناخ المسلمون عليهم مما يلي دجلة؛ فلما نظر خرزاد إلى ذلك خرج من الباب الشرقي ليلاً في جنوده نحو جلولاء، وأخلى المدائن، فدخلها المسلمون، فأصابوا فيها غنائم كثيرة، ووقعوا على كافور كثير، فظنوه ملحاً، فجعلوه في خبزهم، فأمر عليهم. وقال مخنف بن سليم،

(1) تاريخ ابن خلدون ـ ابن خلدون ص689

لقد سمعت في ذلك اليوم رجلاً ينادي: من يأخذ صحفة حمراء بصحفة بيضاء. لصحفة من ذهب لا يعلم ما هي). [1]

دين عمر وكما يعترف هو دين إذلال الإنسانية، هو دين القتل على خلاف دين الهرمزان الذي واجه بشجاعة الخليفة المُنتَّصر ووصفَ حالِهم وتَخلفهم ليكشف بذلك الاختلاف بين الحضارة والبداوة. قصة نزع ثياب الهرمزان والباسه مَنْ هو أحطُ قدراً عِندَ المُسلمين يكشفُ سادية عمر وتعامله الوحشي مع النِد حينما يقع في الأسر من جهة، ويكشفُ ايضاً بان المُنتَّصر له القدرة على ترويضِ مَنْ اعترض من جهة أخرى.

(وكان من أهل فارس فلما انقضى أمر جلولاء خرج يزدجرد من حلوان إلى أصبهان ثم أتى إصطخر ووجه الهرمزان إلى تستر فضبطها وتحصن في القلعة ومعه الأساورة وجمع كثير من أهل تستر وهي في أقصى المدينة مما يلي الجبل والماء محيط بها ومادة تأتيهم من أصبهان فمكثوا كذلك ما شاء الله وحاصرهم أبو موسى سنتين ويقال ثمانية عشر شهرا ثم نزل أهل القلعة على حكم عمر فبعث أبو موسى بالهرمزان إليه ومعه اثنا عشر أسيرا من العجم عليهم الديباج ومناطق الذهب وأسورة الذهب فقدموا بهم المدينة في زيهم ذلك فجعل الناس يعجبون فأتوا بهم منزل عمر فلم يصادفوه وجعلوا يطلبونه فقال الهرمزان بالفارسية قد ضل ملككم فقيل لهم هو في المسجد فدخلوا فوجدوه نائما متوسدا رداءه فقال الهرمزان هذا ملككم قالوا هذا الخليفة قال أما له حاجب ولا حارس قالوا الله حارسه حتى يأتي عليه أجله فقال الهرمزان هذا الملك الهنيء ونظر عمر إلى الهرمزان فقال أعوذ بالله من النار ثم قال الحمد لله الذي أذل هذا وشيعته بالإسلام وقال عمر للوفد تكلموا وإياي وتشقيق الكلام والإكثار فقال أنس بن مالك الحمد لله الذي

(1) الأخبار الطوال ـ أبو حنيفة الدينوري ص49

أنجز وعده وأعز دينه وخذل من حاده وأورثنا أرضهم وديارهم وأفاء علينا بأموالهم وأبنائهم وسلطنا عليهم نقتل من شئنا ونستحيي من شئنا فبكى عمر ثم قال للهرمزان ما مالك قال أما ميراثي عن آبائي فعندي وأما ما كان في يدي من مال الملك وبيوت الأموال فأخذه عاملك قال يا هرمزان كيف رأيت الذي صنع الله بكم فلم يجبه قال أو لست حيا فاستسقى الهرمزان ماء فقال عمر لا نجمع عليك القتل والعطش فدعا له بماء فأتوه بماء في قدح خشب فأمسكه بيده فقال عمر اشرب لا بأس عليك إني غير قاتلك حتى تشربه فرمى الإناء من يده وقال يا معشر العرب كنتم وأنتم على غير دين نتعبدكم ونقضيكم ونقتلكم وكنتم أسوأ الأمم عندنا حالا وأخسها منزلة فلما كان الله معكم لم يكن لأحد بالله طاقة فأمر عمر بقتله فقال أو لم تؤمني قال وكيف قال قلت لي تكلم لا بأس عليك وقلت اشرب لا بأس عليك لا أقتلك حتى تشربه فقال الزبير بن العوام وأنس بن مالك وأبو سعيد الخدري صدق فقال عمر قاتله الله أخذ أمانا ولا أشعر وأمر فنزع ما كان على الهرمزان من حلية وديباجه وقال لسراقة بن مالك بن جعثم وكان نحيفا أسود دقيق الذراعين كأنهما محترقان البس سواري الهرمزان فلبسهما ولبس كسوته فقال عمر الحمد لله الذي سلب كسرى وقومه حليهم وكسوتهم وألبسها سراقة بن مالك بن جعثم ودعا عمر الهرمزان وأصحابه إلى الإسلام فأبوا فقال علي يا أمير المؤمنين فرق بينهم وبين إخوانهم فحمل عمر الهرمزان وجفينة وغيرهما في البحر وقال اللهم اكسر بهم وأراد أن يسيرهم إلى الشام فكسر بهم ولم يغرقوا فرجعوا فأسلموا وفرض لهم عمر في ألفين ألفين وسمي الهرمزان عرفطة قال المسور بن مخرمة رأيت الهرمزان بالروحاء مهلا بالحج مع عمر عليه حلة حبرة). [1]

تُظهر قصة جرير مع عمر بن الخطاب إنَّ التَّرغيب وقِسمة الغنائم

(1) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ص904

كأية عملية سطو كان يسبق ما تم تسميته بالفتوحات الإسلامية، فمِنْ خلال ما ذكره ابن الجوزي نكتَّشف إنَّ عمراً قد اعطى وعداً لجرير بربع الغنائم قبل المعركة في مساومة اشبه بمساومات رجال الأعمال أو العصابات أكثر من كونه حديث رجال ينشرون ديناً جديداً (قال ابن سعد: وقال يزيد بن جرير عن أبيه، أن عمر قال له والناس يتحامون العراق، وقتال الأعاجم: سر بقومك فما غلبت عليه فلك ربعه، فلما جمعت الغنائم ـ غنائم جلولاء ـ ادعى جرير أن له ربع ذلك كله، فكتب سعد إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب عمر: صدق جرير وقد قلت ذلك له، فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جعل فاعطوه جعله، وأن يكون قاتل لله ولدينه وحسبه فهو رجل من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم. فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جريراً بذلك، فقال جرير: صدق أمير المؤمنين، لا حاجة لي به، بل أنا رجل من المسلمين).[1]

يعترف عمر بشجاعة وبأس الكردي ويتمنى سداً بين سواده وجبالهم (وكتبوا إلى عمر بفتح جلولاء وبنزول القعقاع حلوان واستأذنوه في إتباعهم، فأبى، وقال: لوددت أنّ بين السواد وبين الجبل سداّ لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم؛ حسبنا من الرّيف السواد، إنىّ آثرت سلامة المسلمين على الأنفال). [2]

جسد المرأة كان الأقرب للعقلية البدوية مِنْ ادعاءات النَّص ونصائح الخُلفاء، فرغم تحذير عمر مِنْ الاقتراب مِنْ سبايا جلولاء وغالبيتهن من الكرديات فان نداء الغريزة البدوية كانت أمضى (عمر الخطاب رضي الله عنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من أولاد سبايا الجلوليات. فأدرك أبناؤهن من قتال صفين).[3]

---

(1) المنتظم ـ ابن الجوزي ص659

(2) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص825

(3) الأخبار الطوال ـ أبو حنيفة الدينوري ص50

الغريزة وبأحطِ درجاتها كانت الغالبة بين جنود جيش يعلنُ إنه المُنقذ الأرضي بتنفيذ مقدسه السماوي. إهانة المرأة والحطِ مِنْ قدرها تَجسدَ في عملياتِ السَبي والتعامل معها كأية سلعة يمكن استخدامها أو بيعها (ولما بعث هاشم القعقاع في آثار القوم، أدرك مهران بخانقين، فقتله وأدرك الفيرزان فنزل، وتوغل في الظّراب، وخلّى فرسه، وأصاب القعقاع سبايا، فبعث بهم إلى هاشم من سباياهم، واقتسموهم فيما اقتسموا من الفئ، فاتّخذن، فولدن في المسلمين. وذلك السبي ينسب إلى جلولاء، فيقال: سبي جلولاء. ومن ذلك السبي أم الشعبيّ، وقعت لرجل من بني عبس، فولدت فمات عنها فخلف عليها شراحيل، فولدت له عامرا، ونشأ في بني عبس). [1]

صوتها عورة، ناهيك عن شعرها ووجهها، يحجبون نساءهم ويُقَبِلون السبايا في الطريق كأية بهيمة، عن (أيوب بن عبد الله اللخمي سمع ابن عمر قال: وقعت في سهمي يوم جلولاء جارية كأن عنقها إبريق فضة فما ملكت نفسي حتى قبلتها والناس ينظرون إلي قاله لنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أيوب).[2]

غنائم المدائن وجلولاء إضافة لما تم نَهبه لاحقاً في عملياتِ الغزو أدى الى انتقالة كبيرة في الوضع الاقتصادي لدولةِ الخلافة التي أفرزت ما يُمكن تسميته بالطبقة المُحاربة التي تجمعت لديها الثروة وأدت الى خلق الارضية لِظهور الخلافة والخليفة الذي بدأ يبتعد أكثر وأكثر عن الكثير من الجوانب الانسانية للإسلام المكي.

يُمكن اعتبار حكم الخليفة الرابع عثمان بن عفان بداية رسمية

(1) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص825
(2) التاريخ الكبير ـ البخاري ص 95

لانتصار اليمين الإسلامي وتسلط طبقة التجار على مفاصل الخلافة، فعن الطبري (كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب، قالوا: واقتسم في جلولاء على كلّ فارس تسعة آلاف، تسعة آلاف؛ وتسعة من الدواب، ورجع هاشم بالأخماس إلى سعد.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبيّ، قال: أفاء الله على المسلمين ما كان في عسكرهم بحلولاء وما كان عليهم، وكلّ دابة كانت معهم إلاّ اليسير لم يفلتوا بشئ من الأموال، وولى قسم ذلك بين المسلمين سلمان بن ربيعة؛ فكانت إليه يومئذ الأقباض والأقسام، وكانت العرب تسمّيه لذلك سلمان الخيل؛ وذلك أنه كان يقسم لها ويقصّر بما دونها، وكانت العتاق عنده ثلاث طبقات، وبلغ سهم الفارس بجلولاء مثل سهمه بالمدائن.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن المجالد وعمرو، عن الشعبيّ، (اقتسم الناس في جلولاء على ثلاثين ألف ألف، وكان الخمس ستة آلاف ألف). [1]

حالة القطيعة بينَ الخليفة وقادة النَهب والسَبي تظهر في مراسلات عمر مع قادته، والتي تكشفُ عَنْ سر تبدل البدوي حينما يصطدم بالحضارة والانثى، عَنْ (شعيب، عن سيف، عن ابن شبرمة، عن الشعبيّ، قال: كتب حذيفة إلى عمر: إنّ العرب قد أترفت بطونها، وخفّت أعضادها، وتغيّرت ألوانها. وحذيفة يومئذ مع سعد.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأصحابهما، قالوا: كتب عمر إلى سعد: أنبئني ما الذي غيّر ألوان العرب

(1) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص825

ولحومهم؟ فكتب إليه: إنّ العرب خدّدهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة؛ فكتب إليه: إن العرب لا يوافقها إلاّ ما وافق إبلها من البلدان).[1]

عمليات النَهب تكشفُ عَنْ شخصية البدوي الذي لا يتوانى عَنْ سرقة أتفه الأمور، كالأواني والثياب، فعن الطبري (كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة ومحمد والمهلب وسعيد، قالوا: ونفّل سعد من أخماس جلولاء من أعظم البلاء ممن شهدها ومن أعظم البلاء ممن كان نائيا بالمدائن، وبعث بالأخماس مع قضاعىّ ابن عمرو الدّؤلي من الأذهاب والأوراق والآنية والثياب، وبعث بالسبي مع أبي مفزّر الأسود، فمضيا). [2]

على خِلاف ما كتبه عمر بن الخطاب بان العرب لا يمكنهم البقاء في مكان لا طاقة للابل والشاة فيها (قال عمر: إنّ العرب لا تصلح بأرض لا تصلح بها الإبل. قال: فخرج عمار بالناس حتى نزل الكوفة. كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن مخلد بن قيس، عن أبيه، عن النسير بن ثور، قال: ولما اجتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلناها وآذاهم الغبار والذّباب، وكتب إلى سعد في بعثه روّادا يرتادون منزلا بريّا بحريّا، فإن العرب لا يصلحها من البلدان إلا ما أصلح البعير والشاة).[3] فان الغزوات وحروب جمع الغَنائم والسَبايا لَمْ يتوقف عند المدن التي تستقبل بعرانهم.

(1) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص830
(2) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص825
(3) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص830

خانقين الوجع

تُشير المَصادر التاريخية أنَّ مدينة خانقين من أقدم المُدن الكردستانية وأهمها على صعيد دورها ومكانتها التاريخية بحكم موقعها الجغرافي، فهي طسوج (ناحية) حالها حال اربل، يذكر ابن خرداذبه في كتابه المسالك والممالك (ثم ابتدئ بذكرّ السواد إذ كانت ملوك الفرس تسميه دل إيرانشهر أي قلب العراق، فالسواد اثنتا عشرة كورة كل كورة أستان وطسّاسيجه ستون طسّوجاً وترجمة الأستان احازة وترجمة الطسّوج ناحية، كورة أستان شاذ فيروز وهي حلوان خمسة طساسيج طسّوج فيروز قباذ، وطسّوج الجبل، وطسّوج تامرّا، وطسّوج إربل، وطسّوج خانقين).[1]

يتَّحدث الحموي عَنْ النفط في خانقين والذي كانَ مصدراً مُهماً للدخلِ فيها، ويصفُ جسرها الوند (الون) ويضع الحموي المدينة ضمن نواحي السواد (خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد بينها وبين قصر شيرين ستة فراسخ لمن يريد الجبال ومن قصر شيرين إلى حلوان ستة فراسخ. قال مسهَر بن مُهلهل وبخانقين عين للنفط عظيمة كثيرة الدخل، وبها قنطرة عظيمة على واديها تكون أربعة وعشرون طاقاً كل طاق يكون عشرين ذراعاً عليها جادة خراسان إلى بغداد وتنتهي إلى قصر شيرين). [2]

(1) المسالك والممالك ـ ابن خرداذبه ص1

(2) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص643

مدينة خانقين كانت مادة شعرية لشعراء عرب وصفوا جمالها ومنهم عتبة بن الوعل التغلبي:

كأنك يابن الوعل لم تر غارة كورد القطا النهْيَ المعيف المكدرا
على كل محبوك السراة مفزع كميت الأديم يستخفَ الحزورا
ويوم بباجسري كيوم مَقيلة إذا ما اشتهى الغازي الشراب وهجرا
ويوم بأعلى خانقين شربته وحلوان حلوان الجبال وتُستَرا
ولله يوم بالمدينة صالح على لذة منه إذا ما تيسرا[1]

وقال عنها ابن العميد يودعه ويصف الفرس ويذمهم:

أيها السيد الذي طاب في المج د فروعاً كريمة وأصولا
لو مشى بي الشيخ الفرق لسابقت ك سيراً إلى الوداع ذميلاً
فتجاوزت خانقين وخلف ت ورائي على الطريق جلولا
لكن لاشيخ كان جذعاً من الخي ل طرياً فصار جذعاً طويلاً
كلما سار سال دمع مآقي ه ومن حق دمعه أن يسيلا
مستغيثاً يصيح تحتي ضراطاً مزوجاً في طريقه وصهيلاً
أبصر القت وهو يجري فغنى بعد ما كاد عقله أن يزولا
أزجر العين أن تبكي الطلولا إن في القلب من كليبٍ غليلا[2]

تمتَّزج الأسطورة مع الحقائق حينما يتناول المؤرخون المسلمون التاريخ وبالأخص ما يتعلق بالشعب الكردي وأصوله وبلاده، يتحدث ابن الجوزي عَن الشياطين ورميهم لتراب الدجيل في خانقين(وفي بعض الكتب

(1) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص643
(2) يتيمة الدهر ـ الثعالبي ص341

السالفة أن الشياطين حفرت دجيل لسليمان بن داود، واحتفر هو في نهر الملك فإن الشياطين لما حفرت دجيل ألقت ترابه بين خانقين وقصر شيرين ومخرج الراسي نهر أرمينية من قاليقلا، ومنتهاه بحر جرجان).[1]

أما المنشيء في (رحلة المنشيء البغدادي) فانه يتَّحدثْ عَنْ كونها مدينة كردية خالصة، ويصف جِسرها ويعتَّبرها الأفضل في العراق (خانقين: ويقال خان جيل ومن قزلرباط إليها خمسة فراسخ، وتقع على جانبي نهر الوند الذي يأتي من جبال اللر، جانب منها في جهة قزلرباط والآخر في جهة حاجي قره، وفيها ألف وخمسمائة بيت، كلهم كرد، وكسب الأغلب زراعة القطن والتبغ والأرز والحنطة والشعير. وفيه قنطرة كبيرة جداً محكمة البناء عملها الشهرزاد محمد علي ميرزا أيام كان والياً في كرمانشاهان. وليس في العراق قنطرة تضارعها، والآن خانقين في حدود بغداد، وأن القسم الآخر من نهر الوند في حكم العجم، ومن محصولات تلك الأنحاء التين المعتبر. وفي خانقين خان كبير جيد كان بناه حاجي علي خان من كرد الزنكنة الحاكم الأسبق على كرمانشاهان عمله للمترددين).[2]

يتَّحدثْ اليعقوبي عَنْ خانقين وما حولها، ويؤكد كما المنشي كردستانيتها مِنْ خِلال تركيبتها السكانية (ومدينة حلوان مدينة جليلة كبيرة، وأهلها أخلاط من العرب والعجم من الفرس والأكراد، افتتحت أيام عمر بن الخطاب. وخراج حلوان على أنها من كور الجبل، داخل في خراج طساسيج السواد. ومن مدينة حلوان إلى المرج المعروف بمرج القلعة، وبهذا الموضع دواب الخلفاء في المروج، ومن مرج القلعة إلى الزبيدية، ثم منها إلى مدينة قرماسين، وقرماسين مدينة جليلة القدر، كثيرة الأهل،

(1) المنتظم ـ ابن الجوزي ص12

(2) رحلة المنشي البغدادي ـ السيد محمد ابن السيد احمد الحسيني ص9

أكثر أهلها العجم من الفرس والأكراد، ومن مدينة قرماسين إلى الدينور ثلاث مراحل).[1]

تتَّحدثْ المصادر العربية والإسلامية عَنْ سبب تسميتها بخانقين ويربطون الأمر بخنق النعمان بن منذر فيها فعن الزبيدي (وخانِقِينُ، وخانِقُونَ: بسَوادِ بَغْدادَ الأُولَى في النَّصْبِ والخَفْضِ لأنّ النُّعْمانَ المَلِكَ خَنَقَ بِهِ عَدِيَّ ابنَ زَيد العِبادِيَّ حَتّى قَتَلَه). [2]

شخصية النُعمان التي كانت مليئة بالأحداث انتهت في خلاف حول طريقة نهايته (النعمان الثالث ابن المنذر (الرابع) ابن المنذر بن امرئ القيس اللخمى، أبو قابوس:من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية. كان داهية مقداما. وهو ممدوح النابغة الذبيانى وحسان بن ثابت وحاتم الطائي. وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى (والقصة مشهورة) وبانى مدينة (النعمانية) على ضفة دجلة اليمنى، وصاحب يوم البؤس والنعيم؛ وقاتل (عبيد ابن الأبرص) الشاعر، في يوم بؤسه؛ وقاتل عدي بن زيد (المتقدمة ترجمته) وغزى قرقيسيا (بين الخابور والفرات) كان أبرش أحمر الشعر، قصيرا. ملك الحيرة إرثا عن أبيه، نحو سنة 592 م، وكانت تابعة للفرس، فأقره عليها كسرى فاستمر إلى أن نقم عليه كسرى (أبرويز) أمرا، فعزله ونفاه إلى خانقين، فسجن فيها إلى أن مات. وقيل ألقاه تحت أرجل الفيلة، فوطئته، فهلك).[3]

وفق الحميري الذي يربط تسمية المدينة بحادثة خنق النُعمان فيها (خانقين: هي من أعمال الجبل بقرب شهرزور، سمي الموضع بذلك لأن

(1) البلدان ـ اليعقوبي ص17
(2) تاج العروس ـ مرتضى الزبيدي ص6296
(3) الأعلام ـ الزركلي ص 1259

النعمان حبس به علي بن زيد وخنقه فيه حتى مات، وهناك حبس النعمان حتى مات، والناس يظنون أنه مات بساباط لقول الأعشى:

فذاك بما أنجى من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محرزق).[1]

الذين يعتقدون بأن حبس النعمان كان بساباط يستشهدون بشعر للأعشى جاء فيه:

فداك وما أنجى من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محرزق

تَتعدد الروايات حولَ موت أو قتل النُعمان، يذكر المسعودي قِصة حبس النُعمان ووفاته، (وأمر كسرى النعمان فجلس في مجلسه بساباط المدائن، ثم أمر به فرمي تحت ارجل الفيلة، وقال بعضهم: «بل مات في محبسه بساباط»،مما يدل على إن وفاته كانت في المدائن.

وفي رواية سريانية إن كسرى بعدَ أن قبضَ على النُعمان بن المنذر وأولاده سقاهم سماً فماتوا، وعصى عندئذ العرب على الفرس وأخذوا يهاجمونهم، فأرسل كسرى قائداً سمته الرواية بـ«بولر» تولى أمر الحيرة، ولكنه لَمْ يتَّمكنْ مِنْ ضبط أمورها، لِشدة أهلها، فانصرف عنها وترك أمرها لمرزبان اسمه «رزوبى مرزوق»، أقام في برية الحيرة في حصن حفنة، وأخذ يقاتل منه الأعراب.

وفي رواية لـ«حمزة الأصفهاني» إنَّ كسرى لما سخط على النعمان بن المنذر واستدرجه إليه من وسط البادية، رمى به إلى أرجل الفيلة، واستباح أمواله وأهله وولد، وأمر إن يباعوا بأوكس الأثمان).[2]

العقلية البدوية تبقى أسيرة كراهيتها للمدن المُستَّباحة فعن

(1) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص830

(2) الروض المعطار في خبر الأقطار ـ محمد بن عبد المنعم الحِميري ص208

الزمخشري (قال الحجاج الثقفي: أين تركت الجند؟ قال: تركتهم يخنقون يعارضين؛ قال: لعلل تريد: يعرضون بخانقين، قال: نعم اللهم لا تخانق في باركين؛ يعني لا تبارك في خانقين).[1]

كان احتلال خانقين في زمن عمر بن خطاب وجاء بعد مجزرة جلولاء، وهي تُمثِل الجزء الثاني لِتلك الحملة التي رافقتها عمليات نهبٍ وسَبي على يد القعقاع. يتحدث ابن الجوزي عن بعضها (ان عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد: إن فتح اللّه عليكم جلولاء فسرح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتى ينزل بحلوان، فيكون ردءاً للمسلمين ويحرز اللّه لكم سوادكم. فلما هزم اللّه عز وجل أهل جلولاء، أقام هاشم بن عتبة بجلولاء، وخرج القعقاع بن عمرو في آثار القوم إلى خانقين فأدرك سبيَاَ من سبيهم).[2]

المُدن الكردستانية وبعد معركة جلولاء سقطت الواحدة منها تلو الاخرى، ولكن في مقاومات بطولية لسكانها (لما قدم على يزيد بن عمر بن هبيرة امير العراق بانه داود منهزماً من حلوان خرج يزيد نحو قحطبة في عدد كثير لا يحصى ومعه حوثرة بن سهيل الباهلي، وكان مروان أمد به ابن هبيرة، وسار ابن هبيرة حتى نزل بحلولاء الوقيعة واحتفر الخندق الذي كانت العجم احتفرته أيام وقعة جلولاء، وأقام به وارتحل ابن هبيرة راحعاً إلى الدسكرة، وأقبل قحطبة حتى نزل قرماسين، ثم سار إلى حلوان، ثم إلى خانقين).[3]

كل ما وقع بيد الجيش الغازي كانت مادة للنهبِ أو السبي والقتل، فعن الطبري (فلما هزم الله عزّ وجلّ أهل جلولاء، أقام هاشم بن عتبة

(1) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د. جواد علي ص651
(2) ربيع الأبرار ـ الزمخشري ص101
(3) المنتظم ـ ابن الجوزي ص496

بجلولاء، وخرج القعقاع بن عمرو في آثار القوم إلى خانقين في جند من أفناء الناس ومن الحمراء، فأدرك سبيا من سبيهم؛ وقتل مقاتلة من أدرك).[1]

لَمْ يسلم أصحاب الديانات الأخرى بما في ذلك السماوية من عمليات النهبِ بدواعي كونهم أهل ذمة (حدثني أبو عبيد قال: حدثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران أن عمر رحمه الله بعث حذيفة وابن حنيف إلى خانقين، وكانت من أول ما افتتحوا. فختما أعناق أهل الذمة ثم قبضا الخراج).[2]

كما فعل معاوية بنفيهِ لأهل العراق حينما تَخلوا عَنْ جيش علي وإرسالهم الى نصيبين، فان خانقين كانت منفى للزط (وفي هذه السنة دخل عجيف بالزط بغداد، بعد أن ضيق عليهم، وقاتلهم، وطلبوا منه الأمان، فأمنهم، فخرجوا إليه في ذي الحجة سنة تسع عشرة ومائتين، وكانت عدتهم مع النساء والصبيان سبعة وعشرين ألفا والمقاتلة منهم اثنا عشر ألفا فلما خرجوا إليه جعلهم في السفن، وعبأهم في سفنهم على هيئتهم في الحرب معهم البوقات، حتى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء من هذه السنة.

وخرج المعتصم إلى الشماسية في سفينة يقال لها الزو، حتى يمر به الزط على تعبئتهم وهم ينفخون في البوقات، وأعطى عجيف أصحابه كل رجل دينارين، وأقام الزط في سفنهم ثلاثة أيام، ثم نقلوا إلى الجانب الشرقي، وسلموا إلى بشر بن السميدع، فذهب بهم إلى خانقين، ثم نقلوا إلى الثغر، إلى عين زربة، فأغارت الروم عليهم، فاجتاحوهم، فلم يفلت منهم أحد).[3]

(1) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ص984
(2) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ص827
(3) فتوح البلدان ـ البلاذري ص110

حركة الزط التي اندلعت في زمن الخلافة العباسية عام 201 هـ في البطيحة جنوب العراق، وفي زمن الخليفة العباسي المأمون حالها حال الحركات الثورية في التاريخ الإسلامي قد تم تشويهها من قبل مؤرخي الحكم الإسلامي، فعن اليعقوبي (ووثب الزط بالبطائح بين البصرة وواسط، فقطعوا الطريق، فوجه إليهم المعتصم أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي، فهزموه، فعقد المعتصم لعجيف في جمادى الأولى سنة 219، فطلبوا الأمان وخرجوا إليه على حكم المعتصم، فأدخلهم بغداد، فأجاز المعتصم لهم الأمان، وأسكنهم خانقين).[1]

الزط وهو مُصطلح يُطلق على مجموعة مِنَّ الغجر بسبب لون بشرتهم الأسمر الداكن، والفرد من هذه الجماعة يُقال له (سبيجي او سابج) وهم قوم من باكستان، يستأجرون ليكونوا مُقاتلين مرتزقة، فهم يتَّقنون فنون القتال الهندية التي لا يعرفها العرب، وقد اشتغلوا في البصرة كشرطة وحراس سجون، ولغتهم من لغات الهند، اختصوا بالعملِ في الملاحة البحرية، وقد استقر بعضهم في البصرة حتى إن أحد أحيائها حمل اسمهم. أثناء واقعة الجمل بين عائشة والإمام علي بن أبي طالب برزت فرقة الزط السبابجة كإحدى الفرق الموالية للإمام علي لموقفهم هذا كان أحد أسباب تشويه حركتهم الثورية ونفيهم الى خانقين (ووثب الزط بالبطائح بين البصرة وواسط، فقطعوا الطريق، فوجه إليهم المعتصم أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي، فهزموه، فعقد المعتصم لعجيف في جمادى الأولى سنة 219، فطلبوا الأمان وخرجوا إليه على حكم المعتصم، فأدخلهم بغداد، فأجاز المعتصم لهم الأمان، وأسكنهم خانقين).[2]

(1) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ص1186
(2) تاريخ اليعقوبي ـ اليعقوبي ص304

لَمْ يرحل كل الزط مِنَّ العراق، بل بقي قلة ومنهم رجلاً يدعى أبا حاتم الزطي عام295 هـ والتحق أبا حاتم ببقايا القرامطة بعد هزيمتهم في سواد جنوب العراق.

سنجار الفرمانات

أختلف المؤرخون حول تسمية المدينة. الروايات كثيرة ومُتَّعددة بهذا الخصوص. هناك مَنْ يقول إنَّ تسمية سنجار أتت مِنْ تسميات ذات أصول آشورية وكوردية وعربية وفارسية وتركية. هناك الكثير مِنَّ الأسماء الحقيقية لِمواقع اختَّفت بسبب قيام العامة بتحريفِ هذه التسميات، فمنهم مّنْ يقول إنَّ هذه التسمية أتت بعدَ طوفان نوح بعدَ أنْ اصطَّدمتْ سفينته بجبل سنجار، وان سن هذا الجبل جار علينا كما قال النبي نوح ومنها اشتق الأسم. لا يمكن الأخذ بهذه الرواية لِكون النبي نوح لَمْ يكُن يتَّكلمْ اللُغة العربية.

هناك مَنْ يعتَّقد بأن (شنعار) الواردة في التوراة في سفر التكوين هي سنجار الحالية ويرى(دانفيل) إنَّ اسم سنجار هو تحريف لأسم (شنعار) أو (سنغار)، وهناك مَنْ يرى إنَّ اسم سنجار أتى مِنْ (سنغارة) التي وردت على عماد الدين الزنكي بن أقسنقر مؤسس اتابكية الموصل، ومِنَّ المُحتَّمل إنَّ سنجار هي تعريب ل(سنكار)وربما هي نفس(سنكارا) الواردة في الكتب البابلية والأشورية. يذكر القزويني بأنها سميت باسم السلطان سنجر السلجوقي وهذا غير صحيح لأنَّ ولادته كانت في سنجار عام(447 هـ).

كتبَ ياقوت الحموي عَنْ سنجار الاسم والتاريخ (سنجار: بكسر أوله

وسكون ثانيه ثم جيم واخره راء، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام وهي في لحف جبل عالٍ ويقولون إن سفينة نوح عليه السلام لما مرَت نَطَحته فقال نوح: هذا سن جبل جار علينا فسميت سنجار ولستُ احقق هذا والله أعلم به إلا أن أهل المدينة يعرفون هذا صغيرهم وكبيرهم ويتداولونه، قال ابن الكلبي: إنما سميت سنجار وامد وهيت باسم بانبها وهم بنو البَلَنْدى بن مالك بن ذُغر بن بويبب بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم عليه السلام ويقال سنجار بن ذُغْر نزلها قالوا: وذعر هو الذي استخرج يوسف من الجُبّ وهو أخو آمد الذي بنى آمد وأخو ميت الذي بَنى هيت، وذكر أحمد بن محمد الهمذاني قال: ويقال: إن سفينة نوح نطحت في جبل سنجار بعد ستة أشهر وثمانية أيام من ركوبه إياها فطابت نفسه وعلم أن الماء قد أخذ يَنضُب فسأل عن الجبل فأخبر به فقال: ليكون هذا الجبل مباركاً كثير الشجر والملء ثم وقفت السفينة على جبل الجُودي بعد مائة واثنتين وتسعين يوماً فبنى هناك قرية سماها قرية الثمانين لأنهم كانوا ثمانين نفساً، وقال حمزة الأصبهاني: سنجار تعريب سنكار ولم يفسره وهي مدينة طيبة في وسطها نهر جارٍ وهي عامرة جداً، وقدامها واد فيه بساتين ذات أشجار ونخل وتُرُنج ونارنج وبينها وبين نصيبين ثلاثة أيام أيضاً، وقيل إن السلطان سنجر بن ماك شاه بن ألب أرسلان بن سلجوق ولد بها فسُمي باسمها). [1]

وكتب القزويني في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد» عَنْ سنجار (مدينة مشهورة بأرض الجزيرة بقرب الموصل ونصيبين، في لحف جبل عال، وهي طيبة جداً كثيرة المياه والبساتين والعمارات الحسنة كأنها مختصر دمشق، وما رأيت أحسن من حماماتها. بيوتها واسعة جداً وفرشها

(1) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص985

فصوص، وكذلك تأزيرها، وتحت كل أنبوبة حوض حجرية مثمنة في غاية الحسن، وفي سقفها جامات ملونة الأحمر والأصفر والأخضر والأبيض على وضع النقوش، فالقاعد في الحمام كأنه في بيت مدبج.

قال أحمد الهمذاني: إن سفينة نوح، عليه السلام، نطحت جبل سنجار بعد ستة أشهر وثمانية أيام، فطابت نفسه، عليه السلام، وعلم أن الماء أخذ في النضوب فقال: ليكن هذا الجبل مباركاً! فصارت مدينة طيبة كثيرة الأنهار والأشجار والنخل والأترج والنارنج.

ويضيف القزويني (وحكي أن جارية السلطان ملكشاه ضربها الطلق بأرض سنجار فقال المنجمون: إن كان وضعها لا يكون اليوم يكون ولدها ملكاً عظيماً! فأمر السلطان أن تجعل معلقة، ففعلوا فولدت السلطان سنجر، فسموا المدينة باسمه، وكان ملكاً عظيماً كما قالوا).[1]

أما السمعاني فانه يربط التَّسمية باسم بانيها سنجار بن مالك بن ذعر (سنجار، بكسر السين، وسكون النون، وفتح الجيم، والراء، أقمت بها يومين في توجهي إلى حلب، والسلطان سنجر بن ملكشاه ولد بهذه البلد وقت توجه والده إلى غزو الروم، فقيل له: سنجر باسم هذا البلد على ما جرت به عادة الأتراك، فإنهم يسمون أولادهم بأسماء المواضع، وهذه المدينة سميت باسم بانيها، وهو سنجار بن مالك بن ذعر، وهو أخو آمد الذي بنى آمد). [2]

ويرى الأب أنستانس ماري الكرملي إنَّ أصل التسمية فارسي لأنها من البلاد التي خضعت لسيطرة الفرس قديماً، وهم أول من سموها بهذا الأسم، ويراد به طير من الجوارح وهو النسر على ما يظن.

(1) آثار البلاد وأخبار العباد ـ القزويني ص160
(2) الأنساب ـ السمعاني ص754

وجِدَ اسم المدينة في المدونات المصرية باسم (سنكار) وهو الأسم الذي كان يستعمله أو يلفظه قدامى اليونانيين والرومان، وهو لا يفرق كثيرا عن اسم (سنغار) في المدونات البابلية والأساطير السومرية، وهو ذات الأسم الذي كان يلفظه الأشوريون في أدبيات ملوكهم.

هناك مِنْ الباحثين يرى إنَّ اسم سنجار هو كردي حيث يسمونها (شنكاري) وكذلك (شنكار) والتي معناها النار الجميلة وربما الأرض، وهناك من يرى ان (شنكال) تعني الجهة الجميلة او الراية الجميلة وان الكلمة عربت الى سنجار.

عَنْ هوية المدينة باعتبارها كردية، كتبَ ابن بطوطة في رحلتهِ ووصف سكانها بالشجعان والكرماء (ثم رحلنا إلى مدينة سنجار، وهي مدينة كبيرة كثيرة الفواكه والأشجار والعيون المطردة والأنهار، مبنية في سفح جبل، تشبه بدمشق في كثرة أنهارها وبساتينها، ومسجدها الجامع مشهور البركة، يذكر ان الدعاء به مستجاب، ويدور به نهر ماء ويشقه. وأهل سنجار أكراد، ولهم شجاعة وكرم، وممن لقيته بها الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله الكردي أحد المشايخ الكبار صاحب كرامات يذكر عنه أنه لا يفطر إلا بعد أربعين يوماً ويكون إفطاره على نصف قرص من الشعير، لقيته برابطة بأعلى جبل سنجار ودعا لي وزودني بدراهم، لم تزل عندي إلى ان سلبني كفار الهنود).[1]

اما ابن خلدون وفي مقدمته فانه يعيد التسمية الى بانيها عقبه سنجاريف بن أثور بن نينوى (ثم كان من عقبه سنجاريف بن أثور بن نينوى، بن أثور، وهو الذي بنى مدينة سنجار وغزا بني إسرائيل فصلبوه

(1) رحلة ابن بطوطة ـ ابن بطوطة ص111

على بيت المقدس. وقال البيهقي: إن الجزيرة ملكها بعد مقتل سنجاريف أخوه ساطرون وهو الذي بنى مدينة الخضر في برية سنجار).[1]

يتناول البلاذري تاريخ المدينة وتَّعاقب احتلالها مِنْ قِبل الروم والفرس والمسلمين الذين قاموا بتَّغيير ديُمغرافيتها مِنْ خلال عمليات الاستيطان التي تَعرضتْ لها المدينة (وحدثني محمد بن المفضل الموصلي، عن مشايخ أهل سنجار قالوا: كانت سنجار في أيدي الروم. ثم أن كسرى المعروف بأبرويز أراد قتل مئة رجل من الفرس كانوا حملوا إليه بسبب خلاف ومعصية. فكلم فيهم فأمر أن يوجهوا إلى سنجار وهو يومئذ يعاني فتحها. فمات منهم رجلان ووصل إليها ثمانية وتسعون رجلاً فصاروا مع المقاتلة الذين كانوا بازائها، ففتحوها دونهم وأقاموا بها وتناسلوا. فلما انصرف عياض من خلاط إلى الجزيرة بعث إلى سنجار ففتحها صلحاً وأسكنها قوماً من العرب وقد قال بعض الرواة: إن عياضاً فتح حصناً من الموصل وليس ذلك بثبت).[2]

احتلال سنجار مِنْ قِبل عياض بن غنم لَمْ يكُن صلحاً، ولَمْ يدخُلَ الكرد طواعية الدين الإسلامي، بل إنَّ أهالي سنجار احتفظوا بدينهم الكردي القديم، فعن ياقوت الحموي (سرُوجُ: فعول بفتح أوله من السرج وهو من أبنية المبالغة. وهي بلدة قريبة من حرَان من ديار مضر. قالوا طول سروج اثنتان وستون درجة ونصف وثلث وعرضها ست وثلاثون درجة غلب عياض بن غنم على أرضها ثم فتحها صلحاً على مثل صلح الرها في سنة 17 في أيام عمر رضي الله عنه وهي التي يعيد الحريري في ذكرها ويبدي في مقاماته وقيل لأبي حية النميري لم لا تقول شعراً

(1) تاريخ ابن خلدون ـ ابن خلدون ص448
(2) فتوح البلدان ـ البلاذري ص71

على قافية الجيم فقال وما الجيم بأبي أنتم فقيل له مثل قول عمك الراعي: ماؤهن يعيج. فأنشأ يقول:

ولمـا رأى أجبـال سـنجار أعرضـت يمينـأ وأجبـالاً بهـن سَـرُوج

ذَرَى عبـرة لـو لـم تفـض لتقضقضـت حيازيـم محـزون لهـن نشـيجُ).[1]

أما الموصل والتي كانت تضُم غالبية كردية كمدينة، ناهيك عن الاقضية والنواحي التي كانت كردية خاصة فإنها فُتِحت بالقوة كما يذكر الآلوسي في غرائب الاغتراب (عن الموصل وفاتحها في زمن الفاروق رضي الله تعالى عنه قيل عياض بن غنم الأشعري وقيل خالد بن الوليد فتحها عنوة رضي الله تعالى عنه. (وأهلها) على ما في التعريبات الشافعية لبعض المعاصرين المصريين خمسة وثلاثون ألفاً وقيل سبعون ألفاً ما بين أتراك وأكراد وعرب).[2]

قاومت المُدن الكُردية الغزو الإسلامي. رغم تلك المقاومات البطولية، كانت المُدن تسقُط الواحدة منها بعد الأخرى، وذلك لِعدم وجود ما يجمعهم ككيان سياسي أو قيادة موحدة.

خيارات الكُرد وبقية شعوب كُردستان كانت مؤلمة، بين الانصياع لجيشٍ غازي ودينه أو دفع الجزية لأهل الديانات السماوية، والقتل أو الهروب لِمنْ لَمْ يملك ديناً سماوياً. كتب الواقدي في فتوح الشام (ولى عمر بن الخطاب عتبة بن فرقد السلمي الموصل سنة عشرين. فقاتله أهل نينوى، فأخذ حصنها وهو الشرقي عنوةً، وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية والإذن لمن أراد الجلاء في الجلاء. ووجد بالموصل

(1) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص952

(2) غرائب الاغتراب ـ الآلوسي ص31

دياراتٍ فصالحه أهلها على الجزية. ثم فتح المرج وقراه، وأرض باهذرة، وباعذرى، والحنانة، والمعلة، ودامير، وجميع معاقل الأكراد. وأتى بانعاثا من حزه ففتحها. وأتى تل الشهارجة والسلق الذي يعرف ببني الحرين صالح بن عباده الهمداني صاحب رابطة الموصل، ففتح ذلك كله وغلب عليه المسلمون.[1]

عمليات التَّعريب التي تعرضت لها مدن كردستان بما فيها الموصل تم توثيقها في المصادر العربية، فعَنْ الواقدي في «فتوح الشام» (وحدثني العباس بن هشام الكلبي، عن أبيه، عن جده قال: أول من اختط الموصل وأسكنها العرب ومصرها هر ثمة بن عر فجة البارقي.

حدثني أبو موسى الهروى، عن أبي الفضل الأنصاري، عن أبي المحارب الضبي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عزل عتبة عن الموصل وولاها هرثمة بن عرفجة البارقي. وكان بها الحصن وبيعٌ للنصارى، ومنازل لهم قليلة عند تلك البيع ومحلة اليهود. فمصرها هرثمة فأنزل العرب منازلهم واختط لهم، ثم بنى المسجد الجامع).[2]

بعد سقوط المُدن بقيت المُقاومة مُشتَّعلة مِنْ خلال عمليات أشبه بحربِ عصابات مارسها سكان كردستان، فعن الواقدي في «فتوح الشام» (وارتحل عياض إلى الجانب الغربي ونزل على بلد فيها بديع القبطي فأجاب صلحاً على ما تقرر عليه وارتحل عياض إلى أن نزاح بالإسماعيليات، وبعث عمرو بن جند ليغير على الموصل وأعمالها فمضى وأغار وأخذ الغنائم ووقع الصايح فخرجوا عليه وقاتلوه وانتزعوا منه الغنيمة وقاتل حتى قتل ودفن بالجانب الغربي، فلما بلغ عياضاً ذلك ارتحل من الإسماعيليات ونزل

(1) فتوح الشام ـ الواقدي ص395

(2) فتوح الشام ـ الواقدي ص395

على الموصل فخرج إليه أهلها بالعدد والسلاح فكر عليهم خالد بجيش الزحف فجعلهم حطاماً ولم يكن عليها يومئذ سور يمنع فأخذها بالسيف ونظر إلى نينوى فإذا هي مدينة قد أخذت السهل والجبل فقال: ما هذه. فقيل: هذه نينوى، فقال: لعلها مدينة يونس بن متى عليه السلام).[1]

نظراً لطبيعتها الخلابة وأجوائها المُعتَّدلة، تحولت المدينة الى مُنتَّجع سياحي لأحد ولاة مصر، وهو عباس بن عمرو الغنوي الذي كان قائداً وخدم العباسيين في مُحاربة القرامطة في العراق، وتم تعيينه من قبل الخليفة المعتضد بالله حاكما للبحرين واليمامة لمواجهة القرامطة بقيادة أبو سعيد الجنابي.

كتب القزويني في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد» (وبقرب سنجار قصر عباس بن عمرو الغنوي والي مصر. كان قصراً عجيب العمارة مطلاً على بساتين ومياه كثيرة، من أطيب المواضع وأحسنها. وكان بعد العباس ينزل بها الملوك لطيب مكانها وحسن عمارتها؛ حكى عمران بن شاهين قال: نزلنا بها مع معتمد الدولة قرواش بن المقلد فرأينا على بعض حيطانها مكتوباً:

يـا قصـر عبّـاس بـن عمـروٍ كيـف فارقـك ابـن عمـرك؟
قـد كنـت تغتـال الدّهـور فكيـف غالـك ريـب دهـرك ؟
واهـاً لعـزّك! بـل لجـودك بـل لمجـدك بـل لفخـرك!

وكتب علي بن عبد الله بن حمدان بخطه سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وهو سيف الدولة ممدوح المتنبي، وتحته مكتوب:

يـا قصـر ضعضعـك الزّمـان وحـطّ مـن عليـاء قـدرك

(1) فتوح الشام ـ الواقدي ص395

ومحـــا محاســـن أســـطرٍ شـــرفت بهـــنّ متـــون جـــدرك
واهـــاً لكاتبهـــا الكريـــم وقـــدره الموفـــي بقـــدرك!

وكتب الغضنفر بن الحسن بن عبد الله بن حمدان في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وهو ناصر الدولة ابن أخي سيف الدولة، وتحته مكتوب:

يـــا قصـــر مـــا فعـــل الأولـــى ضربـــوا قبابهـــم بعقـــرك!
أخنـــى الزّمـــان عليهـــم وطواهـــم تطويـــل نشـــرك!
واهـــاً لقاصـــر عمـــر مـــن يحتـــال فيـــك وطـــول عمـــرك

وكتبه المقلد بن المسيب في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، وهو أبو قرواش أحد العظماء فكتب قرواش تحته:

يا قـــصـــر أين ثـــوى الـــكـــــرام الـسّـاكـنـون قـديم عـصـــرك ؟
ولقـــد أطـــال تفجّعـــي يـــا ابـــن المسـيّب رقـم سـطرك!
وعلمـــت أنـــي لاحـــقٌ بـــك تابـــعٌ فـــي صـــوب إثـــرك)[1]

سنجار بِجمالها على خلافِ مُدن الجيوش الغازية حيث الصحراء المُقفرة والفقر المُدقع تحولت الى مادة شعرية وحوارات شعرية بين المُحتلين، فعن الحموي (جرائب: جمع جريب وجُدال قرية قرب سنجار كأنه يتعجب من ذلك ويقول: كيف تحن إلى أرض الحجاز وقد شبعتَ بهذه الديار فأجابه خالد يقول:

وســنجار تبكــي ســوقُها كلمــا رأت بهـــا نمريـــاً ذا كســـاوَين أيْفَعـــا
إذا نمـــري طالـــب الوَتـــر غَـــرَهُ مـــن الوتـــر أن يلقـــى طعامـــاً فيشـــبعا
إذا نمـــري ضـــاف بيتـــك فاقـــره مـــع الكلـــب زادَ الكلـــب وازجرهمـــا معـــا

(1) آثار البلاد وأخبار العباد ـ القزويني ص160

أمـن أجـل مُـد مـن شـعير قريتَـه كيـت وناحـت أمـك الحـوْلَ أجمعـا
بكــى نمــريٌ أرغَــمَ اللــهَ أنفَــهُ بسـنجار حتـى تنفـد العيـنُ أدمُعـا

وقال المؤيد بن زيد التكريتي يخاطب الحسين بن علي السنجاري المعروف بابن دبَابة ويلقَب بأمين الدين:

زاد أميــن الديــن فــي وصفــه ســنجار حتــى جئـتُ ســنجاراً)[1]

حنين المحتل لبلاده يتجسد بما دار بين خالد ودثار (وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب والشعر، قال أبو عبيدة: قدم خالد الزبيدي فى ناس معه من زبيد إلى سنجار ومعه ابنا عم له يقال لأحدهما: صابي وللآخر عويد فشربوا يوماً من شراب سنجار فحنوا إلى بلادهم، فقال خالد:

أيـا جَبَلَـى سـنجار مـا كنتمـا لنـا مَقيظــاً ولا مَشــتاً ولا مترتعــاً
ويـا جبلـي سـنجار هـلاَّ بكيتمـا لداعـي الهـوى منـا شـتيتين أدمُعـا
فلـو جبـلا عُـوج شـكونا إليهمـا جـرت عَبَـرَات منهمـا أو تصدَّعـا
بكـى يـوم تـل المحَلبيـة صابـيء وألهَــى عويــداً بَثــه فتقَنعــا

فانبَرَى له رجل من النمر بن قاسط يقال له: دثار أحد بني حُيَي، ففال:

أيـا جبلـي سـنجار هـلا دققتمـا برُكنيكمـا أنـفَ الزبيـدي أجمعـا
لَعمـرك مـا جـاءت زبيـد لهجـرة ولكنهــا كانــت أرامــلَ جوَعــا
تبكـي علـى أرض الحجـاز وقـد رأت جرائـب خمسـاً فـي جـدال فأربعـا)

انبرى له رجل من النمر بن قاسط يقال له دثار أحد بني حيي فقال:

(1) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ص985

فأجابه خالد قائلاً:

وسـنجار تبكـي سـوقها كلمـا رأت بهـا نمريـاً ذا كسـاوين أيفمـا
إذا نمـري طالـب الوتـر غـره مـن الوتـر أن يبقـى طعامـاً فيشـبعا
إذا نمـري ضـاق بيتـك فاقـره مـع الكلـب زاد الكلـب واجرهمـا معـا
أمـن أجـل مـدٍ مـن شـعيرٍ قريتـه بكيـت وناحـت أمـك الحـول أجمعـا؟
بكـى نمـري أرغـم اللـه أنفـه بسـنجار حتـى تنفـذ العيـن أدمعـا)[1]

(1) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي ص453

المصادر

1. صحيح مسلم
2. صحيح بخارى
3. جمع الجوامع الكبير للسيوطى
4. المنبر الاعلامي الجهادي
5. السيرة النبوية ـ ابن هشام
6. السيل الجرار ـ الشوكاني
7. أحكام أهل الذمة ـ ابن القيم
8. المغني مع الشرح الكبير ـ عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي
9. السير الكبير ـ محمد بن الحسن الشيباني ـ محمد بن أحمد السرخسي
10. المعتمد في أصول الدين ـ أبي يعلى الحنبلي
11. المبسوط ـ محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي
12. مجموع الفتاوى ـ ابن تيمية
13. تفسير القرطبي ـ شمس الدين القرطبي
14. المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ـ إعداد جماعة من العلماء، بإشراف صفي الرحمن المباركفوري
15. بدائع الصنائع ـ علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني
16. السنن الكبرى ـ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي

17. مشكل الآثار ـ أبو جعفر الطحاوي
18. الآحاد والمثاني ـ ابن أبي عاصم
19. توضيح الأحكام من بلوغ المرام ـ عبد الله البسام
20. سنن سعيد بن منصور ـ سعيد بن منصور
21. مروج الذهب ـ المسعودي
22. فتوح البلدان ـ البلاذري
23. مختصر تاريخ دمشق ـ ابن منظور
24. تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض الزَّبيدي
25. معجم البلدان ـ ياقوت الحموي
26. لسان العرب ـ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)
27. المنتظم في تاريخ الأمم ـ ابن الجوزي
28. الأخبار الطوال ـ أبو حنيفة الدينوري
29. الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير
30. نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري
31. فتوح الشام ـ الواقدي
32. عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ـ محمد بن أبي عثمان الحازمي الهمداني أبو بكر
33. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر
34. اسد الغابة في معرفة الصحابة ـ ابن الأثير
35. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ ابن تغري بردي
36. المنتظم ـ ابن الجوزي
37. الإصابة في معرفة الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني

38. الأنساب ـ السمعاني
39. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ د. جواد علي
40. الأعلام ـ الزركلي
41. الطبقات الكبرى ـ ابن سعد
42. تذكرة الحفاظ ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي
43. البداية والنهاية ـ ابن كثير
44. تاريخ الطبري ـ الطبري
45. تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر
46. الاماني المطلقة ـ ابن حجر العسقلاني
47. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي
48. أنساب الأشراف ـ البلاذري
49. شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد
50. تاريخ الإسلام ـ الذهبي
51. سير أعلام النبلاء ـ الإمام، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
52. تهذيب التهذيب ـ ابن حجر العسقلاني
53. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ـ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري
54. السيرة الحلبية ـ نور الدين الحلبي
55. البرصان والعرجان ـ الجاحظ
56. صبح الأعشى ـ القلقشندي

57. المعارف ـ ابن قتيبة الدينوري
58. تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري
59. الفتوحات المكية ـ محيي الدين ابن عربي
60. الفهرست ـ ابن النديم
61. المحلى ـ ابن حزم الأندلسي
62. تاريخ اليعقوبي ـ اليعقوبي
63. جامع البيان في تأويل القرآن ـ الطبري
64. إحياء علوم الدين ـ أبو حامد الغزالي
65. المصنف في الأحاديث والآثار ـ بن أبي شيبة
66. مجلة الكوثر العراقية، العدد 25
67. الروض المعطار في خبر الأقطار ـ محمد بن عبد المنعم الحِميري
68. المسالك والممالك ـ الاصطخري
69. تاريخ أربل ـ ابن المستوفي
70. مفحمات الأقران في مبهمات القرآن ـ السيوطي
71. رحلة بنيامين ـ بنايمين يونة التطيلي النباري الأندلسي
72. بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة ـ ولتر كيغي
73. صورة الأرض ـ ابن حوقل
74. الحيوان ـ الجاحظ
75. البدء والتاريخ ـ المطهر بن طاهر المقدسي
76. النهاية في غريب الحديث والأثر ـ ابن الأثير
77. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ الحافظ الهيثمي
78. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ـ العصامي
79. البصائر والذخائر ـ أبو حيان التوحيدي

80. رحلة ابن بطوطة ـ ابن بطوطة
81. آثار البلاد وأخبار العباد ـ القزويني
82. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ المقدسي البشاري
83. العبر في خبر من غبر ـ الذهبي
84. كركوك وتوابعها حكم التاريخ والضمير ـ د. كمال مظهر
85. تاريخ ابن خلدون ـ ابن خلدون
86. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي
87.

الفهرس

المقدمة 5

صورة الجهادي من المدينة الى دولة الخليفة 11

الخيمة التي نهبت الحضارات 19

فوضى سيوف الخِلافة 25

مُتَّلازمة كردستان ومُتَّلازمة ستوكهولم في كردستان 33

إسراء السَيف ومِعراج الجَبلْ 49

قادة الاحتلال 63

غزوة أبو حَفصْ القريشي في شَهرَزور 103

الجزيرة...عين الوردة (رأس العين) 111

نصيبين وماردين والرها 123

جلولاء الدم 145

خانقين الوجع 159

سنجار الفرمانات 169

المصادر 181